مجلة الليبي

The Libyan

شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة الخدمات
الإعلامية بمجلس النواب الليبي

الليبي لعدد الرابع - أبريل 2019

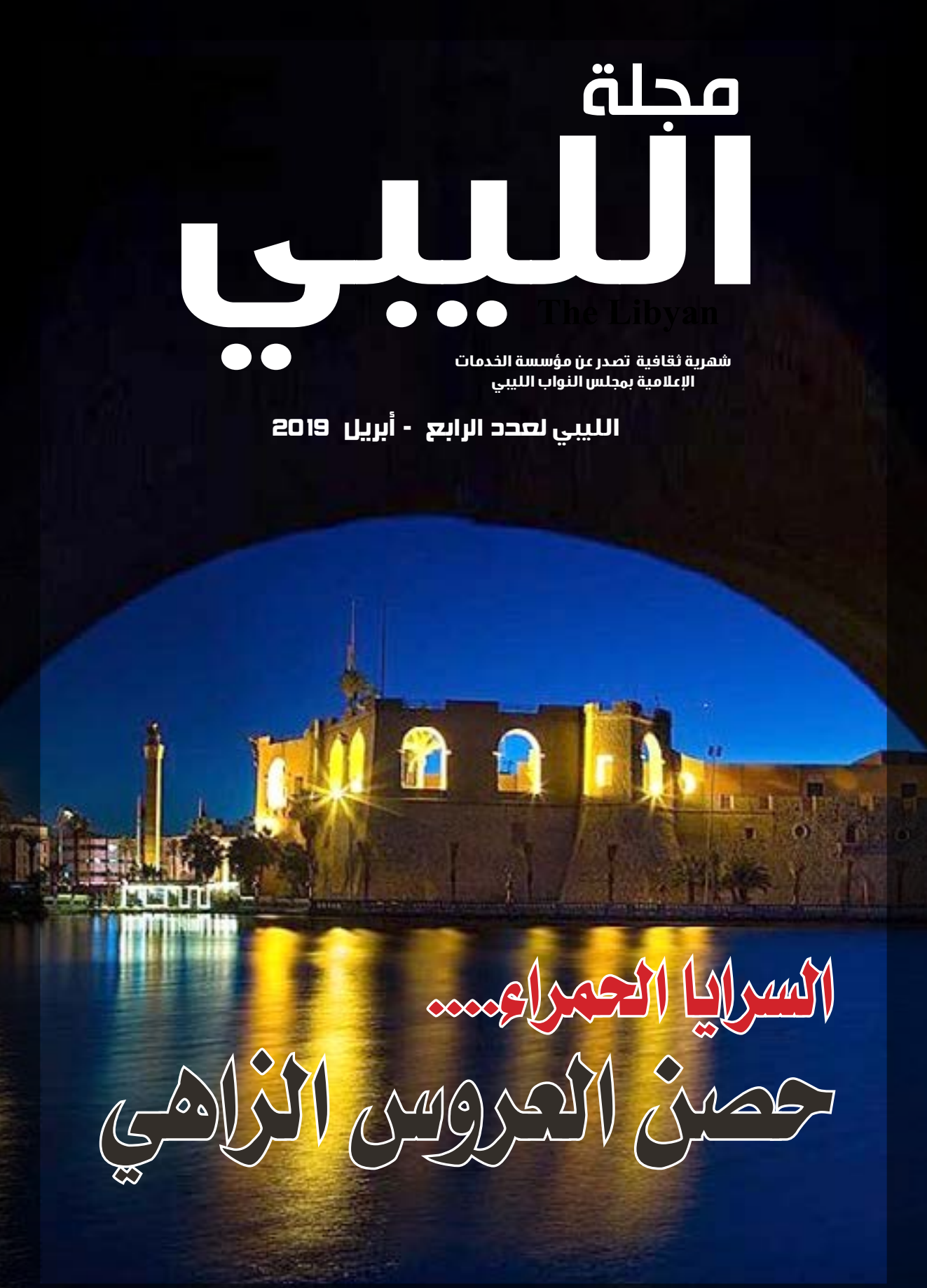

السرايا الحمراء....

حصن العروس الزاهي

صورة الغلاف

السراي الحمراء

قلعة طرابلس القديمة، المطلة على البحر جنوب شرق المدينة، تجاوز عمرها الآن 500 عام، اشتهرت أنها كانت مقراً للحكام الأتراك، وأنها بُنيت بحجارةٍ حمراء اللون. ويُعتقد أن الموضع الذي بنيت فيه كان في الأساس مشغولاً بأحد المباني الرومانية، ويرجع الشكل العام لها حالياً إلى التحسينات التي قام بها الأسبان الذين بنوا أو جددوا البرج الجنوبي المقابل لشارع محمد المقريف، والذي يشبه في شكله مقدمة السفينة، كما بنوا الحصن الغربي وأسموه حصن القديس يعقوب، وهو يقع حالياً قرب برج الساعة.

تتكون من أربعة أضلاع، وتشغل مساحة 13 ألف متر مربع، وعندما سلّمها الأسبان إلى فرسان القديس يوحنا عام 1530 م. اتخذوها حصناً لهم وأضافوا إليها بعض الإصلاحات بدورهم، وفي العهد العثماني الأول 1551 ـ 1711 م. احتوت على الكثير من المنشآت التي خُصصت لإقامة الولاة الأتراك وحاشياتهم وجنودهم.

عندما احتل الايطاليون طرابلس أصبحت مقراً للحكام العسكريين الايطاليين أمثال «بالبو»و«بادليو»، كما استغلت مقراً لإدارة الخدمات الأثرية في ليبيا والتابعة لإدارة المستعمرات منذ عام 1913 م.، وكان أول رئيس لها هو « لوتسيو مارايانى» ثم استخدمت في عهد الإدارة البريطانية 1943 ـ 1951 م. لأغراض عسكرية وإدارية ومخازن، وفي عهد المملكة الليبية استغلت أجزاء منها كمكاتب للوزراء ومقار لبعض الوزارات ، ثم سُلمت إلى مصلحة الآثار في الستينات والتي ترأسها جودتشايلد وهاينز وغيرهما.

الليبي
The Libyan

شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة الخدمات
الإعلامية بمجلس النواب الليبي

رئيس التحرير
د. الصديق بودوارة
Editor in Chief
Alsadiq Bwdawarat

مدير التحرير
منى طه زيدان

هيئة التحرير :
خلود الفلاح
عائشة القيني
هاجر الطيار
رجاء الشيخي
نسرين هاشم

مراسلون :
علي الحويج ـ مصر
فيروز عنيبة ـ المغرب
د. آمنة ابو حطب ـ فلسطين

شؤون إدارية :
عبد الناصر مفتاح حسين
عامر الزوي

علاقات :
رمضان عبد الونيس
محمد الورشفاني

إخراج فني :
محمد حسن محمد

العنوان في ليبيا
مدينة البيضاء - الطريق الدائري الغربي

عناوين البريد الإلكتروني
info@libyanmagazine.com
Ads@libyanmagazine.com
http://libyanmagazine.com

شروط النشر في مجلة الليبي

توجيه المقالات الي رئيس تحرير المجله.
تكتب المقالات باللغه العربيه وبخط واضح وترسل علي البريد الالكتروني ومرفقه بما يلي :

1. سيرة ذاتيه للمؤلف او المترجم .
2. الاصل الاجنبي للترجمه اذا كانت المقالة مترجمة.
3. يفضل ان تكون المقالات الثقافية مدعمه بصور اصلية عاليه النقاء مع ذكر مصادر هذه الصور ومراعاة ترجمه تعليقات وشروح الصور والجداول الي اللغه العربيه.

- الموضوعات التي لا تنشر لا تعاد الي اصحابها.
- يحق للمجله حذف او تعديل او اضافة اي فقرة من المقالة تماشياً مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعاً للحدود الدولية.
- لا يجوز اعادة النشر بأي وسيلة لا مادة نشرتها الليبي بدايه اصدار العدد الاول وحتي تاريخه دون موافقة خطية من الجهات المختصة بالمجلة إلا اعتبر خرقاً لقانون الملكية الفكرية.
- الاسم الكامل حسب الوثائق الرسمية (باللغة العربية والانجليزية) اسم الدولة ، صوره واضحة عن جواز السفر، اسم البنك ، اسم الفرع ، السوفيت كود ، رقم الحساب ، رقم الآيبان (IBAN).

المواد المنشورة تعبر ان اراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رآي المجلة ويتحمل كاتب المقال جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

الليبي
The Libyan

العدد الرابع
أبريل 2019 م
شعبان 1440 هـ

محتويات العدد

افتتاحية رئيس التحرير

(ص 8) روائح الزمن الرديء

شؤون عـــربية

(ص 12) زواج القاصرات
انتهاك الروح والجسد

(ص 18) الدكتورة إيناس مكاوي
المرأة الليبية
هي صانعة سلام حقيقية

(ص 24) ملتقى الشباب العربي للتطوع ..
وجائزة ليبية لأفضل مبادرة
شبابية .

كتبوا ذات يـــوم

(ص 28) ليلة زلزال المرج
ملحمة الروايات الشفهية

(ص 34) هذا الفتى شاهد غضب اهلل

ترحـــــال

(ص 36) شارع قابل..
أكثر من 100 عام من العراقة

منوعـــــات

(ص 40) ألزياء الشعبية المرصية ..
أم الدنيا .. وألزياء أيضا

(ص 46) الوشم .. بني الشعر وألسطورة

ترجمـــــات

(ص 48) برقة القدمية واقتصادها

لقاء العـــدد

(ص 56) الدكتور موسي أبومحلولة :
(اوراق الغربة والحنني) ..
طفح فيض المشاعر وانفجار
وانسكاب حبر القلم على أوراق
الغربة .. مخزون الكلمات

ابـــــداع

(ص 60) جنه النص

محتويات العدد

المعـــــرض

(ص 62) السرايا احلمراء....
حصن العروس الزاهي

نقـــــد

(ص 70) روايات ليبية .. تتحدى غبار

تراث عربي

(ص 72) قالت جهينه

علـــــوم

(ص 74) العلم والاخلاق ..
ثنائية اجلدل والتوافق

احداث عالمية

(ص 78) نساء الايام الصعبة

قرآت لـــك

(ص 82) في فكر آدم سميث

إصـــــدرات

(ص 96) إصـــــدرات

قبل أن نفترق

(ص 98) هموم الكتابة

فوتوغراف

(ص 99) برج الساعة طرابلس

رمضان كريم

الاشتراكات

قيمه الاشتراك السنوي 10 دل وداخل الوطن العربي 10دل أو يعادلها بالدولار.

- باقي الدول العالم 10 دل أو مايعادلها بالدولار الامريكي أو اليورو الأوربي.
- ترسل قيمه الإشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالعملات المذكورة بإسم مؤسسه الخدمات الاعلامية بمجلس النواب الليبي علي عنوان المجلة.

ثمن النسخة

ليبيا 5 دينار ليبي (الأردن 5 د.ل – البحرين 5 د.ل – مصر 5 د.ل – السودان 5 د.ل) اول يعادلها بالدولات
(موريتانيا 5 د.ل – تونس 5 د.ل – الإمارات 5 د.ل – المغرب 5 د.ل ، الكويت 5د.ل– العراق 5 د.ل) اول يعادلها بالدولات
،Iran400Riyal،Pakistan75Rupees،UK2.5pound،Italy2€
France2€،Austria2€،Germany2€،USA2$،Canada4.25CD

كفاح علي الديب - سوريا

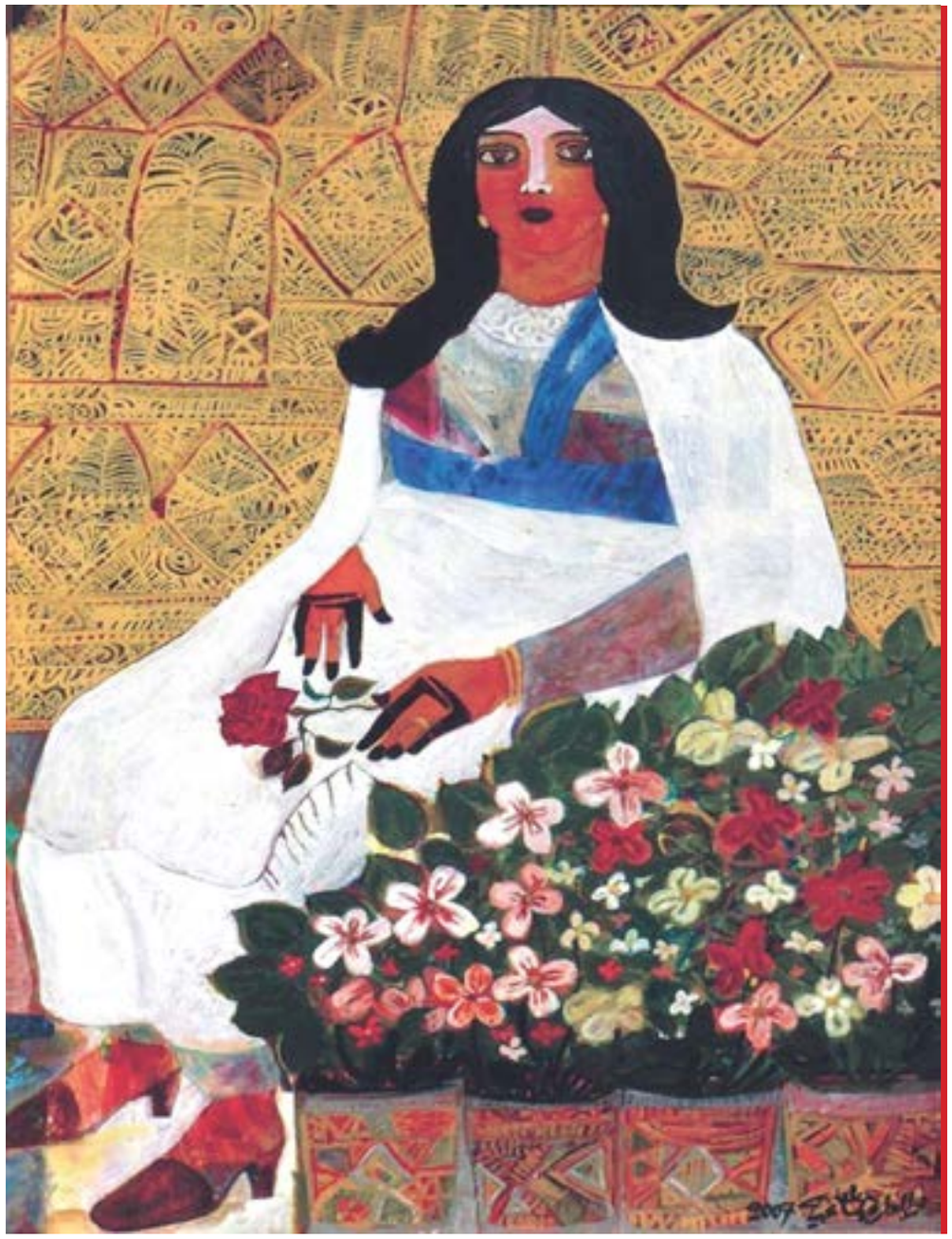

عارف عبية - ليبيا

أول الغيث.. كلمة

روائح الزمن الرديء

بقلم : رئيس التحرير

((في العصر الذي نتحدث عنه، هيمنت على المدن رائحة نتنة لا يمكن لإنسانٍ من عصرنا الحديث أن يتصور مدى كراهتها))....

((في العصر الذي نتحدث عنه، هيمنت على المدن رائحة نتنة لا يمكن لإنسانٍ من عصرنا الحديث أن يتصور مدى كراهتها . فالشوارع كانت تتضح برائحة الغائط، وباحات المنازل الخلفية برائحة البول، وأدراج البنايات برائحة الملفوف المتعفن وشحم الخراف .
أما الغرف غير المهواة فقد كانت تتضح برائحة الغبار الرطب، وغرف النوم برائحة الشراشف المدهنة واللحف الرطبة المحشوة بالريش، وبالرائحة النفاذة المنبعثة من المباول.
من المدابغ كانت تفوح رائحة الكبريت، ومن المدابغ رائحة قلويات الغسيل الواخزة، ومن المسالخ رائحة الدماء المتفسخة، أما البشر فقد كانوا ينضحون برائحة العرق والملابس غير المغسولة . من أفواههم كانت تنبعث رائحة الأسنان المتعفنة، ومن بطونهم رائحة

البصل . وإن كان العمر قد تقدم بهم قليلاً فقد كانت لأجسامهم رائحة الجبنة العتيقة والحليب الحامض والأمراض الورمية .
كانت الروائح الكريهة تفوح من الأنهار والساحات ومن الكنائس ومن تحت الجسور . ومن القصور .
كانت رائحة الفلاح كريهةً كرائحة القس، ورائحة الحرفي المتدرب كرائحة زوجة المعلم . كانت طبقة النبلاء كلها تتضح بالرائحة الكريهة، بما فيها الملك نفسه الذي كانت تفوح منه رائحة حيوان مفترس، ومن الملكة رائحة عنزة شمطاء .))

باتريك زوكسيند . رواية العطر.

هكذا أبدع «زوكسيند» في وصف واقع خال استفزه في فرنسا القرن الثامن عشر، ورغم أن هذه الرواية الأسطورة احتوت على العديد من مفاتيح الابداع الذي وصل إلى حد الذهول ، إلا أنها أيضاً أصبحت قاموساً بحد ذاته لمفردات تصنيف جديد من نوعه، إنه تصنيف يقوم على تقسيم الكائنات والأحداث والأمكنة والمشاعر إلى مجاميع، ليس بحسب الزمن أو الكيفية أو الاسلوب، بل بحسب الرائحة.
إن «زوكسيند» يقدم لنا خلطةً جديدة لمعالجة الزمن، فيبدع في التحليل والوصف، ويمعن في الغوص عميقاً في بحر الروائح حتى يصل بنا أحياناً إلى ما دون خط الجنون بأقل القليل.
لكل شيء رائحة، هكذا يشرعن «زوكسيند» منهجه ، فهل يجوز لنا الآن أن نستعير من هذا المبدع بعضاً من سطور نظريته العظيمة؟ لكل شيء رائحة، هكذا صرت استعرض

غلاف رواية العطر

المشاهد من حولي بعد هذا الانهيار الكوني البشع في كل ما يحيط بي . فهل كان «زوكسيند» يتنبأ بما سيحدث بعد كل تلك السنين؟

لكل شيء رائحة ..

عبثاً حاولت أن أتخلص من هذا الهاجس، حتى أني تخلصت من نسخة الرواية السر، الرواية التي أوحت لي بهذا اليقين الذي لم يفارقني إلى الآن، لكن محاولاتي ذهبت أدراج الرياح، وها أنا أعود من جديد إلى محاكاة «زوكسيند» في تفصيله المدهشة لخارطة ما يحدث .

لكل شيء رائحة ..

للفوضى رائحة ريح عاتية، وللفساد رائحة كارثة قريبة، وللخيانة رائحة ذنب ينفذ بجلده ، وللاغتيال رائحة شجرة تحتضر، وللمفاوضات المريبة رائحة أمر دبّر بليل.

لكل شيء رائحة ..

لخلافات «الخواجات»بشأننا رائحة درب غامض، ولاستغراقنا في الجهل رائحة عصفور أعمى، ولنوايا المتربصين بنا رائحة ذئبٍ يترقب بلا ملل .

لكل شيء رائحة ..

للأنذال الذين لا يدركهم المرض ولا ينال منهم الموت رائحة قدر غاشم، وللصوص المحترفين رائحة نوم متقطع، وللسفلة الذين يعتلون المناصب رائحة خطأ جسيم.

لكل شيء رائحة ..

للمجالس البلدية رائحة طاولة عرجاء، وللدوام الرسمي رائحة مخمور يترنح، وللرواتب الخيالية رائحة طاووس قبيح، ولنواب الشعب رائحة نكتة بليدة.

لكل شيء رائحة ..

لصندوق الانتخاب رائحة مكب قمامة، ولألقاب الفخامة والمعالي رائحة مهزلة سخيفة، ولوجوه الساسة رائحة لوح ثلج سميك.

لكل شيء رائحة ..

لأوباش العصابات المسلحة رائحة زمنٍ لعين، وللشوارع الخائفة رائحة فأر محاصر، وللمال المنهوب رائحة جرح غائر ، وللضمير الميت رائحة قبرٍ لا يزوره أحد .

لكل شيء رائحة ..

للفقراء الذين داستهم عجلة الأحداث رائحة زهرة تعاني من وطأة سواد الأسفلت، وللطيبين الذين تلاعبت بمصائرهم سكاكين السفلة رائحة قطعة لحم تجت رحمة جزار .

لكل شيء رائحة ..

للأدنياء الذين يطأون مشاعرك النبيلة بأحذيتهم رائحة روحٍ تُزهق، وللنكبات التي لا تجيد سوى استهداف الدورايش الأنقياء رائحة ظلم لا تبرره النصوص .

لكل شيء رائحة ..

للمجلات التي تناضل لاستنشاق هواء الاهتمام رائحة غريقٍ أودى به الجهل، وللثقافة عندما تكون جثة هامدة رائحة أمة ماتت منذ ملايين السنين.

لكل شيء رائحة ..

روائح بلا عدد، ووجع بلا حدود، فيما تظل رواية «زوسكيند» تحفر عميقاً في تربة ذاكرتي وكأنها تروي لي من جديد حكايةً كنت اعتقد أني حفظتها عن ظهر قلب .

قالوا

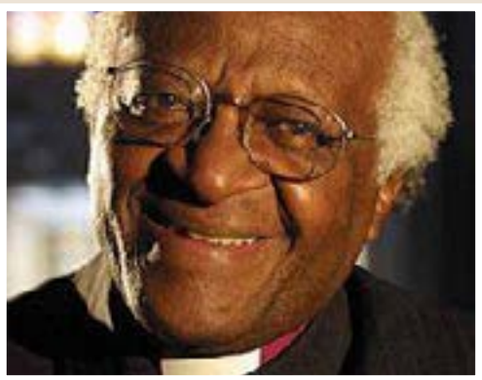

لا البيولوجيا ولا لون البشرة هما اللذان يحددان قيمة الإنسان، بل إن ما يحدد هذه القيمة هو كون الإنسان خلوقاً مع الآخرين.

ديزموند توتو

زواج القاصرات

انتهاك الروح والجسد

علي الحوفي

لم تكن قد تخطت عامها التاسع بعد، وهي تطلق شعرها مثل ذيل الجواد، وهي تجري وتلعب الغميضة مع صديقتها في الخلاء، لتفاجئ بنداء والدتها لها لتكلم اباها الذي أمرها بالسلام علي الشيخ او الصديق او القريب (فلان) الذي يكبرها بما يزيد عن 30 عاماً باعتباره عريسها المقبل.

العريس الذي ابتسم لها كذئب، لتظهر أنياب الافتراس للغزال الوديع الذي لم يستكمل مرحلة طفولة حتى الان.

الطفلة تقول :

ـ «ذات يوم، وبعد عودتي من المدرسة، جردني أبي من حقيبة الكتب، وأعطاني ملابس جديدة والكثير من الهدايا والألعاب، ومنعني من الذهاب إلى المدرسة في اليوم التالي.. وبعدها بأيام ألبسني ملابس بيضاء، وذهب بي إلى محافظة «حجة» شمال اليمن بحجة زيارة أقاربنا.. ثم تركني في بيتٍ لا أعرفه».

وتضيف :

ـ «بينما أنا منشغلة باللعب، جاء رجل كبير وحاول أن يغتصبني بالقوة، أو هكذا تصورت أنه يغتصبني، وصرخت وأنا أبحث عمن ينقذني منه، لكنه نادى أمه وأخته، لتخبراني أن هذا الرجل هو زوجي، ولأنني لم أفهم وقتها ما يعنيه هذا الأمر، أمسكتا بي ودخل هو بي، إلى أن وجدت نفسي ملقاة على الأرض فاقدة للوعي».

هذا ليس مشهداً من قصةٍ في كتاب، أو فيلم درامي، هي مأساة تعيشها الملايين من البنات على مستوى العالم، والآلاف في وطننا العربي، سواءً آسيوياً أو افريقياً، حيث يتم تزويج الفتاة القاصر من ثري عربي، أو قريبٍ أو غير ذلك نظرا لمعتقداتٍ وعاداتٍ خاطئة، او لظروفٍ ماديةٍ، أولانتشار الجهل والأمية.

هناك الكثير من القصص الواقعية عن مآسي ظاهرة زواج الصغيرات في الوطن العربي وفي اليمن خاصة، وهي ظاهرة طفت الى السطح وصارت أكثر حضوراً بسبب الوضع الراهن وغياب الإعلام عن متابعة هذه الظاهرة في بعض الدول العربية ذات الأزمات الكبيرة، سواءً الاقتصادية أو السياسية.

حيث يشهد العالم العربي هذه الظاهرة كذلك بحكم المعتقدات والممارسات القديمة، حيث وبحسب جمعيات حقوقية مغربية، فإنه تم تسجيل حوالي 30 ألف حالة زواج سنوياً لطفلات قاصرات في المغرب خلال العام 2017.

وتفاقم الوضع في سوريا بسبب الحرب، حيث سجلت حالات زيجات القاصرات ارتفاعاً من 7 إلى 30 % في العام 2015، بحسب المركز السوري للدراسات والأبحاث القانونية.

وفي الأردن، هناك 35 % من مجموع زيجات اللاجئات السوريات تصنف كحالات زواج مبكر، بينما 32 % من حالات الزواج بين اللاجئين في لبنان لفتيات تحت سن الثامنة عشر، ونسبة 25 % لزواج القاصرات السوريات في مصر.

وفي العراق، تدهور الوضع بشكل كبير بعد تصويت البرلمان على قانون يبيح تزويج الأطفال من الفتيات دون سن العاشرة.

في مصر، حيث كشفت تقارير حديثة للجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء عن أن هناك 118 ألف حالة تم رصدها حتى عام 2017.

نجود الأهدل .. أيقونة اليمن الفريدة

في مجتمعات أخرى، وخصوصاً تلك التي تعاني حروباً أو نزاعات داخلية، تستفحل الظاهرة، فنجد اليمن على سبيل المثال مرتعاً خصباً لكل من يريد أن يتزوج طفلة، حتى إن إحدى الدراسات التي أعلنتها جامعة صنعاء منذ عامين، قالت إن نسبة زواج الفتيات الصغيرات في اليمن، بلغت 66% من حالات الزواج ككل، وأكثر من ثلثي هذه النسبة تحدث في المناطق الريفية.

في اليمن، قصص كثيرة انتشرت خلال الأعوام الماضية، عن حالات زواج قاصرات من رجال مسنين، حتى أن الفتاة «نجود الأهدل»، وهي صاحبة القصة الشهيرة بالزواج من رجل يكبرها بنحو 20 عاما، والتي أصدرت كتاباً تحكي فيه تجربتها وهي في سن السادسة عشر، والتي حازت في 2013 على لقب «امرأة العام»، ما زالت حتى الآن تحوز على لقب «أصغر مطلقة في العالم»، بعدما صارت مطلقة قبل بلوغها سن العاشرة.

واليوم اهتمت العديد من المنظمات أيضاً بندى الاهدل التي عارضت جوازها في التاسعة لتهرب طالبةً عون المنظمات الاجتماعية لتقود منصات لمحاربة زواج القاصرات علي المستوى العالم العربي والعالم وتقود توعية للصغيرات وتكون من أصر المدافعات عن حقوق الأطفال علي مستوى العالم.

لقد احتجزها نظام الرئيس السابق «علي عبد الله صالح»، وطاردها الحوثيون، ثم اختطفها تنظيم القاعدة، كل ذلك لم يثن أيقونة اليمن الصغيرة عن مواصلة مشوارها في إنقاذ آلاف الفتيات اليمنيات وغيرهن حول العالم من الزواج المبكر، والحرمان من التعليم، حيث أسست مؤسسة « ندى الأهدل

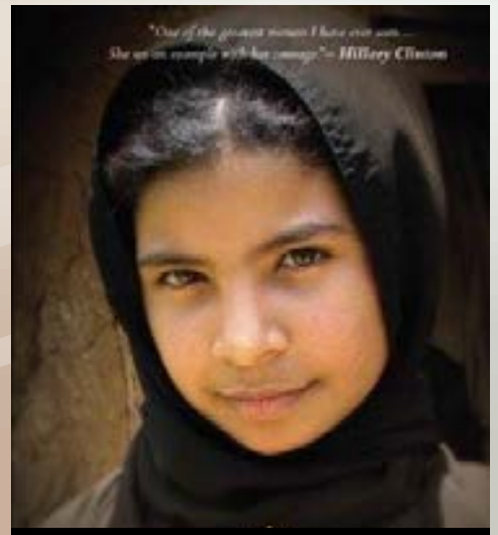

مذكرات نجود الأهدل ..أصغر مطلقة في العالم

لحقوق الطفل» ، وتعكف حالياً على مشروع لمساعدة أطفال العالم اسمه «ملاذات آمنة».

«ندى» التي تقيم حالياً في العاصمة السعودية، الرياض، بعد أن رفضت دعوة عائلة أميركية للتبني في الولايات المتحدة، أكدت أنّها فضلت دعوة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز للعيش والاستقرار في المملكة، مشيرة إلى أنّها تدرس حالياً في المرحلة المتوسطة بإحدى مدارس الرياض وتخصص جزءاً كبيراً من وقتها لنشاطها الحقوقي لدعم الأطفال في اليمن وحول العالم.

في ذلك قال «خالد الأكوع» عضو الفريق القانوني لاتحاد نساء اليمن إن زواج الصغيرة يجعلها لا تستطيع ان تتحمل الأعباء الزوجية، نحن نعلم أن طفلة عمرها 15 سنة يترتب على زواجها ضرر كبير، لذلك فإنه لابد من تشريع يحدد السن الملائم للزواج. ومن ناحية أخرى أفتى كثير من فقهاء الشرع أن عقد الصغيرة لا يصح إلا بعد أن تبلغ سن الرشد، فإذا بلغت فهي مخيرة بين أن تقر هذا العقد

او ترفضه"، فسن الرشد متعارف عليها بـ 18 سنه.

مبادرة عالمية

وأطلقت ندى مبادرات من أجل مساعدة الأطفال؛ فأسست مؤسسة «ندى الأهدل لحقوق الطفل»، كما عملت في مشاريع للدفاع عن حقوق الطفل، منها مشروع سيطلق قريباً لمساعدة أطفال العالم وليس اليمن فحسب أطلقت عليه «ملاذات آمنة»، وشاركت في مساعدة الأطفال في اليمن عبر توزيع أدوية وحملات كثيرة في الميدان.

وتطرقت إلى أن «ملاذات آمنة»، مشروع إلكتروني لمساعدة الأطفال حول العالم، يشمل ثلاثة أقسام، إغاثية، وتوعوية، وحقوقية، ويركز الجانب الإغاثي على ربط المستشفيات بالمجتمع لمساعدة الأطفال، والحقوقي يتمحور حول حل مشكلات الأطفال، فيما يقدم القسم التوعوي نصائح للأطفال.

المركز الأول في وفاه الأمهات محجوز لليمن :

قال «نبيل عبد الحفيظ» وكيل وزارة حقوق الإنسان اليمنية إن مشكلة زواج القاصرات في اليمن هي قديمة، ومستمرة حديثاً من خلال ترسخ بعد الثقافات في المناطق التي تعاني من الأمية وما شابه وعملت الحكومة علي تقليص تلك الظاهرة.

وتابع عبد الحفيظ أنه خلال تقديم تقرير الدوري الشامل لمجلس حقوق الانسان الدولي على مدار أربع سنوات في يناير الماضي تقدمت ما يزيد عن تسعين دولة لتوصيات بغلت نسبة 40 منها على موضوع زواج القاصرات والأطفال، مضيفا أن زواج القاصرات والزواج المبكر وضعنا في حرج وتقدمنا بتعهدات كثيرة

لتقليص هذه الظاهرة.

ولفت وكيل وزارة حقوق الإنسان اليمنية أن هناك العديد من الفتيات يهربن من أسرهن بعد اجبارهن علي الزواج، وهم أطفال، ويلجئون لنا، مشيرا الى أن الكثير من البنات تستسلم لذلك الزواج القصري بعد استنفاذ كافة المحاولات.

مأسي جسدية ونفسية

تحدث الأكوع عن كثير من المآسي والاضرار النفسية والجسدية التي تترتب على تزويج الطفلة حيث أكد :

ـ "شاهدت بأم عيني طفلة عمرها 15 سنة زُوجت برجل طاعن في السن، كانت حالتها النفسية والجسدية منتهية، لابد من تشريع للحفاظ على القاصرات، لابد ان نحميهن باي شكل من الأشكال."

وقال أيضاً

ـ " تصلنا في الاتحاد حالات مؤلمة، شاهدت في احدى المرات حالة آلمتني كثيرا حيث وصلت فتاة عمرها 16 سنة لا تستطيع الكلام من هول الصدمة التي حصلت لها ومن المعاملة التي لاقتها من زوجها وكذلك اصبحت حركتها بطيئة كأنها في التسعين من عمرها، كانت مدمرة نفسياً وجسدياً، لقد تدخل اتحاد نساء اليمن محاولاً إيقاف ذلك.

اختلاط الانساب :

حذر نقيب المأذونين في مصر الشيخ إسلام عامر بما اسماه «اختلاط الأنساب»، حيث تلجأ بعض الفتيات اللائي تزوجن عرفيا دون السن القانونية لإثبات نسب أطفالهن لأشخاص آخرين غير أزواجهن، نظرا لهروب الزوج وعدم اعترافه بطفله.

وأضاف أن اختلاط الأنساب يحدث في الحالات التي تتحول فيها الفتاة القاصر لسلعة، عندما يوافق ولي أمرها على زواجها من ثري عربي مثلاً في بعض

القرى تحت إغراء المال، في هذه الحالة وبعدما يأخذ هذا الرجل ما يريده من الفتاة ويتركها فجأة ويختفي، فإن الفتاة قد تحمل منه، وعندما تضع مولودها لا تستطيع إثبات نسبه لوالده الحقيقي، وبدلاً من أن تتبع الإجراءات القانونية فإن والدها يقوم بنسبة الطفل لنفسه، ومن هنا يصبح المولود أخاً لأمه على الورق ويرث مثلما ترث تماماً من أبيها.

وأشار الى أن هذه الظاهرة رصدناها مع الأسف بشكل متكرر في بعض القرى، خاصة أن العقد العرفي الذي تم به الزواج قد يثبت أنه عقد مزور وأن الزوج اسمه وهمي وليس له وجود، ويحدث هذا التحايل مع الأسف وتكون ضحيته الفتاة القاصر.

تدمير لصحة القاصرة :

ومن جانبه قال الدكتور عمرو حسن، أستاذ مساعد أمراض النساء والتوليد بقصر

العيني، إن القانون المصري يمنع الزواج في السن الصغيرة، ولكن الأهالي يزورون في عمر الفتاة.

وأضاف أنه في هذه السن لا تستطيع الفتاة الحصول على الرعاية الصحية لأن جسمها ما زال في مرحلة النمو، وبالتالي هناك احتمال أن يتوقف تماماً نموها، والأكثر شيوعاً أن تصاب بتسمم الحمل.

ولفت «حسن» الانتباه إلى أن ثمة تبعات صحية مترتّبة عن الزواج في سنّ مبكرة، وتشمل حدوث تهتّكات في الجهاز التناسلي عند بدء ممارسة العلاقة الزوجية، ونزيف قد يتطوّر مستواه إلى تهتك في الأعضاء التناسلية ونقص في العناصر الغذائية الأساسية لنمو الجنين عند الحمل، مع عدم اكتمال نمو العظام والحوض لدى الأم، زيادة احتمال الولادة المبكرة وتعسّر الولادة أو الولادة بعملية قيصرية، وكذلك ارتفاع فرصة الإصابة بتسمّم الحمل أو حدوث الحمل العنقودي، بالإضافة إلى عدم الوعي الكافي في مجال تنظيم الحمل ممّا يزيد من احتمالات الولادة المتكرِّرة بدون فاصل زمني بين الولادات ويشكّل عبئاً جسدياً ونفسياً على الفتاة...». وتابع: «إذا كانت بعض هذه التأثيرات ممكنة العلاج رغم صعوبته وتأثيراته السلبية، إلا أن بعضها الآخر يصبح أمراً واقعاً لا مفرّ منه، ويحتّم على «الصغيرة» التعايش معه والرضوخ له بصبر».

وأشار «حسن» إلى أن الولادة الطبيعية تكون صعبة جداً لأن الحوض لا يكون قد اكتمل، وبالتالي تلد قيصرياً، وهناك أيضاً مضاعفات أخطر خلال الولادة وبعدها لأنها لا تأخذ حقوقها الصحية وهي في هذه السن، وقد تتعرض أيضا لمشكلات خطيرة بسبب عدم متابعتها الطبية خلال أشهر الحمل.

اضطرابات نفسية وسلوكية

بدورها، قالت الاختصاصية النفسية الدكتورة «فاطمة الحداد» «إن ثمة سمات شخصية تحدّد العمر الأمثل للزواج»، مضيفةً بشكل عام، تكون الفتاة التي تجاوزت سنّها العشرين مهيّأة بدرجة كبيرة للارتباط الزوجي، إذ تبلغ في هذه المرحلة النضوج النفسي والصحي والاستقرار والقدرة على تحمّل المسؤولية، وتكتسب الخبرات اللازمة من البيئة المحيطة، خصوصاً في ما يتعلّق بالعناية بالأطفال.

وشدّدت «الحداد» على «أن الفتاة في سن مبكرة لا تكون مهيّأة نفسياً لممارسة العلاقة الزوجية ولتحمّل مسؤوليات الأسرة»، تشير إلى دور الزواج في سنّ مبكرة في الإصابة باضطرابات نفسية وسلوكية. وتردف قائلةً: «قد ينتج عن زواج القاصرات صدامات وخلافات زوجية، إما نتيجة ارتباط العلاقة الزوجية بالألم أو بسبب المسؤولية الكبيرة التي تتجاوز قدرتها عند إنجاب الأطفال».

وتشرح «الحداد» « إن جسم الفتاة الصغيرة ليس مهيّأً للتغيّرات الفسيولوجية المصاحبة للحمل، ويعتبر هذا السبب رئيسياً في إصابتها بالأمراض النفسية كالاكتئاب والتوتر والقلق والأرق والوسواس القهري، وبالتالي قد يؤثّر على العلاقة الزوجية والعناية بالمولود»، مضيفةً « إن هذا الاضطراب قد يجعلها مصدراً لقرارات غير سليمة وحكيمة، ويضعها في موقع العاجزة عن تربية أبنائها بشكل سوي وسليم. لذا، لا يمكن فصل الرابط بين الحالتين الجسدية والنفسية للفتاة، فكل منهما يؤثّر على الآخر، وإذا ما صحّ الجسد صحّت النفس والعكس صحيح».

الدكتورة إيناس مكاوي مدير إدارة الرصد ومتابعة الأزمات بالجامعة العربية لمجلة الليبي :

المرأة الليبية هي صانعة سلام حقيقية

علي الحوفي

مشكلات كثيرة تواجهها الأسرة العربية، خاصة المرأة والطفل، في مقدمتها التطرف، سواءً في الأفكار أو المعتقدات، وتحديات كثيرة خلال عدة أعوام، فكان لابد من التواصل مع مدير إدارة المرأة والأسرة والطفولة بجامعة الدول العربية سابقاً، الدكتورة «إيناس مكاوي»، ومدير إدارة الرصد ومتابعة الأزمات الحالية، والرائدة في مجال الدفاع عن المرأة.

ربما لأهمية هذه المواضيع اتجهت مجلة الليبي إلى السيدة « د. إيناس مكاوي» مدير إدارة الرصد ومتابعة الأزمات بجامعة الدول العربية، من أجل حوارٍ خاص

كان هذا نصه :

الليبي : كيف ترين ما وصلت الية المرأة العربية الان؟

من واقع إدارتي لملف المرأة لما يزيد عن خمس سنوات، أؤكد أننا نعيش واحداً من أزهى عصور المرأة في الوطن العربي، وأنها حققت مكاسب كبيرة سواءً على المستوى السياسي أو الاجتماعي، وتبني القيادات السياسية نفسها، ولعل مصر خير نموذج لذلك .

المنطقة العربية تخطت المرحلة الأولي في التمكين السياسي، وهو إنجاز كبير لو يعلم الإعلام ذلك، لأن هناك بعض التحركات والاستجابات تمت نتيجة إعلان القاهرة عام 2014، فعدد من الدول مثل الجزائر تخطت المتفق عليه بنسبة 1.5% وتونس اقرت المناصفة في الدستور بالبرلمان، ومصر حصلت على أعلى نسبة في تمثيل المرأة في البرلمان بتاريخها، وفي السعودية أصبحت المرأة عضواً في مجلس الشورى.

الليبي : وماذا عن المرأة الليبية خاصة ؟

ليبيا إلى جانب تاريخها الكبير لإرساء حقوق المرأة، لازالت تواصل النجاح في هذا المجال، خاصة بعد تدريبنا لـ 20 سيدة ليبية شاركن الآن في طاولة الحوار الوطني، ومكتب الأمم المتحدة في ليبيا يلعب دوراً كبيراً في ذلك، ولعل ما حققته من نجاح تمثيلها بكثافة في صنع السلام طبقاً لقرارات مجلس الامن هو دليل على ذلك.

الليبي : ما هي ملامح إعلان القاهرة للمرأة العربية؟

أحلم بتطبيق مشروع بنك الفقراء

الإدارة خلال الفترة الماضية ـ بعد اعتماد إعلان القاهرة للمرأة العربية – ترى أنه لابد أن تكون هناك مشاركات استراتيجية ما بين الجامعة العربية والدول الأعضاء والمؤسسات الدينية، من أجل ترسيخ التفاهم الإنساني ومحاربة الإرهاب بشكل أساسي، وضرورة تأهيل المرأة بالثقافة الدينية لتفعيل دورها على المستوى المجتمعي والسياسي والاقتصادي والثقافي، لكى تستطيع أن تمكن الأسرة على الأرض، ولعل إعلان القاهرة الذى تم اعتماده في القمة الماضية أرسى موضوعاً في غاية الأهمية، وهو الشراكة الاستراتيجية ما بين الرجال والشباب والطلاب حول قضايا المرأة. وهذا الموضوع يهدف إلى نشر السلام خاصة في منطقتنا الملتهبة، فلا أمل في المستقبل دون وجود شباب حقيقي يؤمن بأن التنمية والعمل والإخاء والسلام هو السبيل الوحيد لرفعة هذه الأمة.

الليبي : ماذا ينقص المرأة العربية من وجهة نظركم ويجعلها في درجة أقل عن المرأة الاوربية المتقدمة؟

من قال إن المرأة العربية تريد أن تتساوى بالمرأة الاوربية ؟، فلدينا اشكاليتنا ولديهم إشكالياتهم، وعند العمل مع الاتحاد الأوربي اكتشفت أننا نتجاوزهم في بعض الأمور الخاصة بالمرأة، مثل المساواة في الأجر بين الرجل والمرأة، فهناك بعض البلدان الاوربية لا تساوي بينهم في الأجر.

المرأة العربية متواجدة في البيت والبادية وفى المصنع ووسائل المواصلات، وهي تؤدى أدواراً كبرى، إلا أنها تنقصها رسالة دينية مصاحبة تحميها وتؤسس لها وتمكنها، وأن تتوافر لها

وسائل حماية في الظروف الصعبة سواءً كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية، وهو أمر في غاية الأهمية، حتى تستطيع المرأة أن تقوم بدورها في مواجهة التطرف، هذه المشكلة التي تتطلب تضافر كل أطياف المجتمع بشكل أساسي من أجل تغيير الصورة الذهنية لدى النشء والشباب حول بعض القضايا الأساسية المغلوطة التي انتشرت خلال العقود الماضية، ومن هنا يأتي دور المرأة والأسرة التي تلعب دوراً كبيراً في تنشئة الأبناء على التسامح والمحبة وقبول الآخر والأخلاق الحميدة، لأن الأخلاق هي جزء ومكون أساسي للأديان السماوية جميعا، والأم هنا تلعب دوراً كبيراً، فلابد أن تتمتع هي ذاتها بهذه الثقافة، لكى تستطيع أن تنقلها للأبناء، وكذلك نحتاج إلى إعلام واع، لإيجاد ثقافة مجتمعية تعلم الناس أن الله أمرنا بالمحبة، وأن البشرية محبة، والمساس بأي إنسان على الأرض هو أمر لا يرضى عنه الله.

الليبي : أذاً، ماذا يواجه المرأة من التحديات؟

تحدياتنا الأساسية هي تحديات ثقافية لا نعلم من أي أتت، وهو ليست ذات خلفية تاريخية، فنحن من منطقة تقلدت فيها المرأة قيادة الدول منذ سبعة آلاف عام، وهي كذلك ليست من منظور ديني حيث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل لدى السيدة «خديجة» وهي امرأة، وليست من منظور شعبي فلدينا الكثير من النساء العربيات لعبن أدوار البطولة في السير الشعبية.

هناك إذن بعض التغيرات السياسية في مراحل معينة استخدمت «تغريب الدين» كأن الدين هو من يحرم المرأة من حقوقها، متجاهلةً أن الدين هو من أعطى المرأة المكانة المتميزة، فقد كانت «السيدة نفيسة» مثلاً تفتي في الدين والقانون والتشريع، فالدين برئ من أقاويلهم كما نرى . ومشكلة الصحة أيضاً من التحديات، وكذلك قانون الأحوال الشخصية، ومحاكم الأسرة، والأطفال، والعمالة غير المنظمة وأغلب ضحاياها من النساء.

الليبي : ما هي أبرز تلك المفاهيم الخاطئة التي رصدتموها؟

مقولة إن خروج المرأة من بيتها عورة، وإن لم تكن لها حاجة اقتصادية ملحة لا تخرج من المنزل، وأن التحرش بها مباح ما دامت ارتضت الخروج، وكذلك يخطيء الإعلام عندما يجسد أشكالاً شاذة للنساء ويقدمها على أنها نماذج سائدة، فهو لا يهتم كثراً بنشر نماذج مكافحة مثل المرأة العاملة الشريفة التي تنفق علي أسرتها، ثم أين الفلاحة المكافحة في أرضها، وأين نماذج غيرها من النساء العربيات العاملات اللواتي تبنى على اكتافهن البيوت.؟

الليبي : وماذا عن دورها في تحقيق العمل العربي المشترك؟

على مدار آخر خمس سنوات كانت واحدة من أهم لجان العمل العربي المشترك هي لجنه المرأة، وكانت الوزيرات العربيات حريصات علي المشاركة بأنفسهن، وأصدرن عدداً من الوثائق التي تم تبنيها من قبل القمة العربية في مجال حماية المرأة من العنف، ومشروع المرأة في أجندة 2030، ومجال إقرار السلام، فاستطعن بذلك عمل خطة تنفيذية لقرارات مجلس الامن «المرأة والسلام».

فالمرأة العربية هي صانعة السلام، وهذا تحققٍ علي الأرض فعلاً، فالمرأة السورية والليبية مثلاً ضربتا أروع الأمثال على ذلك.

فلو شاهدتم المرأة السورية في المخيمات، وشاهدتم دورها في حماية الأبناء والأسرة، وتضحياتها من أجلهم، ستعلمون حقاً انها صانعه سلام، ولو لاحظتم وجودها علي طاولة الحوار والمناقشات كما في سوريا وليبيا ستعرفون أنها تستحق لقب «صانعة السلام».

فالمرأة في طبيعتها لا تنظر إلى المصالح الصغيرة بل إلى الأهداف الكبرى، فعند مناقشتها لقضية السلام فأنها ترى بيتها وابنها وابنتها وأسرتها

ومجتمعها، إذاً فهي صانعة سلام كبرى.

الليبي : أين وصلت «شبكة خديجة» لدعم المرأة؟ وما هي هذه الشبكة ؟

أسسنا «شبكة خديجة» بالتعاون مع الاتحاد الأوروبي، وهيئة الأمم المتحدة، وهي تهدف للمساواة بين الجنسين وتسعى إلى تمكين المرأة بشكلٍ عام، وهي شبكة إقليمية لدعم النساء في الدول العربية في تحقيق إمكاناتهن الاقتصادية الكاملة، ويدعم هذه الشبكة البرنامج الإقليمي المسمى «قفزة النساء للأمام» الذي يموله الاتحاد الأوروبي.

وتعتبر «الشبكة العربية للتمكين الاقتصادي للمرأة «خديجة» بمثابة قناة لتبادل المعرفة، وهي تدعو إلى نهجٍ يوازن بين الجنسين في الاقتصاد الإقليمي، وتأتي هذه الشبكة ضمن رؤية أوسع لدعم مشاركة المرأة في القوى العاملة الإقليمية وتحسين الأداء الاقتصادي.

وتضم الشبكة التي أطلقت حديثاً 20 خبيراً من دول عربية يمثلون القطاعات العامة والخاصة والاجتماعية. ويمثل الأعضاء المؤسسين مجلس سيدات الأعمال العرب، والاتحاد العربي – الإفريقي لسيدات الأعمال والبنك الإسلامي للتنمية والبنك الإفريقي للتنمية ومجلس أعمال «الكوميسا»، ومجلس سيدات أعمال الشارقة ومؤسسة «أوتاد» وشركة «أورانج» وشركة «لوجيك» للاستشارات الإدارية، وخبراء إقليميين آخرين في الاقتصاد والميزانية المستجيبة للنوع الاجتماعي.

الليبي : هل تتعاونون في الجامعة العربية مع المنظمات الدولية المعنية بالمرأة والطفل؟

بالتأكيد، لأن من أكثر الأعمال الفعالة التي نقوم بها هي التعاون مع المنظمات الدولية المعنية بشؤون الأطفال والمرأة حول العالم، فعلى سبيل المثال لدينا مشكلة في تعليم الأطفال المشردين، وهي مشكلة حلها ليس بيد أي شخص من خارج الدولة، لكننا نستطيع مساعدتهم من خلال «المدارس المتحركة»، وهي مدارس متنقلة نستطيع من خلالها الوصول إلى هؤلاء الأطفال في أماكن اللجوء والشتات في المخيمات المختلفة بالأردن ولبنان والعراق، لمساعدتهم في تلقي بعض أساسيات التعليم، وقد زرت شخصياً بعضاً من هذه المخيمات في الدول العربية.

رغم سوء الأوضاع الاقتصادية بعد ما أطلق عليه ثورات الربيع.

الليبي :هناك جانب مضيئ في مسيرة المرأة العربية، فكيف ترين وضعها باختصار؟

أولاً، بصفتي امرأة مصرية، أستطيع القول إن المرأة المصرية ساهمت بجدية في قيادة الحراك الشعبي خلال الفترة السابقة، حتى أنه عندما هدأت كل الأصوات لم يهدأ صوتها، وإذا رجعنا تاريخياً إلى عام 2012، عندما صمت الشباب لبعض الوقت، فإن المرأة المصرية لم تصمت، وكانت تجوب الشوارع، وأعتقد أن التوجه السياسي للدولة المصرية الحديثة يقول إن المرأة المصرية لا بد أن تتبوأ المكانة الأولى التي كانت عليها من قبل، وأستطيع القول إن كل المؤشرات التي نراها اليوم إيجابية جداً لمصلحة المرأة المصرية، فقد بحّ صوتنا جميعاً لتجريم العنف ضد النساء، ومصر الآن الدولة الأولى في المنطقة العربية التي أصدرت قانوناً لإيقاف أشكال العنف كافة ضد المرأة، وما زالت هناك إجراءات تُتخذ لمصلحة المرأة.

الليبي : تزايدت معدلات الإعاقة بين النساء والأطفال في الوطن العربي بسبب الصراعات المسلحة، فكيف تعالج جامعة الدول العربية هذه المشكلة؟

هدفنا الأول العمل على علاج الأسباب التي أدت إلى اشتعال الصراعات ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، ومع هذا لدينا خطة طويلة المدى لتنفيذ ما يطلق عليه الاستراتيجية العربية للمرأة، والتي تتماشى مع أهداف التنمية المستدامة، ومن ضمن هذه الاستراتيجية حل مشكلات ذوات الاحتياجات الخاصة،

من خلال زيادة نصيبهن في الموازنات العامة للدول، وكذلك سن تشريعات جديدة أكثر إنصافاً وعدلاً لتقوم الهيئات والمؤسسات الخاصة بتشغيل ذوات الإعاقة.

الليبي : ماذا عن معاناة المرأة الفلسطينية التي تعد الأصعب وضعاً بين النساء العربيات؟

مطلوب وبشكل عاجل جداً أن تتحد المرأة العربية من أجل المرأة الفلسطينية، وأن تضم إلى صوتها أصواتاً دولية لكي تساعد المرأة الفلسطينية، ونحن في جامعة الدول العربية نعمل بشكل كبير على هذا الملف على المستوى الدولي في المحافل المختلفة، لأننا نكافح من أجل قضية إنسانية بالدرجة الأولى. المرأة الفلسطينية هي النموذج الدولي للكفاح والنضال والصبر والمثابرة، فهي تناضل من أجل الخبز والماء والابن والأرض وحق البقاء، وهذا ليس كلاماً مرسلاً بل هو واقع مرير، ومن واجبنا جميعاً التعاون الجاد للتخفيف من معاناتها.

الليبي : ما دور المرأة في توعية الأبناء وحمايتهم من الوقوع فريسة للتنظيمات المتطرفة والارهابية؟

كلنا اتفقنا علي أن التنشئة الصحيحة بيتاً واسرةً ومدرسةً ومجتمعاً هي خير واقٍ من التطرف والإرهاب، فالتنشئة الصالحة وخلق المفاهيم الفاضلة وارساءها، والقدرة علي الايمان بفكرة الإخاء والمحبة والمساواة تنشئ أبناء مؤمنين بالمواطنة الكاملة ومبدأ الوطن للجميع، فنؤسس لجيلٍ صالح لا أحد فيه يكفر أحداً، ولا يجرّم آخر، فالمرأة هي الأساس، وهي من تلعب الدور الهام قبل حتي بلوغ الطفل سن الذهاب للمدرسة، وأحب هنا أن أشكر وأحيي دولة الامارات علي الخطوة الكبيرة في شهر فبراير باعتماد الوثيقة المشتركة بين شيخ الأزهر الشريف والبابا» فرانسيس» حيث وضعت المرأة على قمة أولوياتها وابرزت دورها في صنع الإخاء والسلام وإعلاء مفهوم الإنسانية واهمية التنشئة الصالحة.

الليبي : ما رأيك في مسألة تجديد الخطاب الديني ودور الأزهر في تحقيق ذلك؟

إنني أقدّر الدور الكبير الذى يقوم به فضيلة الإمام الأكبر تجاه قضايا المرأة ولعل مشاركته في اليوم العالمي للمرأة والرسائل التي أرسلها للعالم والتي ترجمت لأكثر من 10 لغات كانت مهمة جداً، فالإسلام بريء مما يلصق به، وما جاء به الاسلام لا يرقى إليه أحد سواءً في تمكينها أو احترامها أو تبجيلها أو وضعها في المكان الذى تستحق أن تكون فيه، فهناك تراكم تاريخي داخل الأزهر، كما أن هناك تراكماً ثقافياً تاريخياً داخل المجتمعات العربية، فأن يكون على رأس الأزهر رجل مستنير مؤمن بقضايا المرأة وحقوقها، أعتقد أن هذه فرصة استثنائية للتحرك للأمام. والأزهر يستطيع أن يقوم بدور ليس فقط على المستوى الاقليمي، فهو أزهر الإسلام، ولابد أن يخرج من هذا المحيط المغلق، كونه صوت الإسلام الوسطى في العالم، فالعالم ينظر إلى ما يصدر عنه بصفته يمثل الإسلام.

وأعتقد أن للأزهر أدواته، فلا توجد دولة في العالم ليس بها مبعوثون أزهريون، وعليهم أن يلتقطوا رسائل الإمام الأكبر ويعملوا بها في صلواتهم واجتماعاتهم وخطابهم، ويوماً بعد يوم، سيكون هناك تغيير حقيقي.

الليبي : هل ما وصلت الية المرأة في 2019 يلبي طموحك؟

بالفعل، فعام المرأة في مصر حقق الكثير، وفي المنطقة العربية التطور بها أصبح قوي وسريع، فأصغر وزير علي مستوى العالم ولبنان هي وزيرة الداخلية ، ورئيسة البرلمان سيدة، وقد حصلت المرأة السعودية كذلك علي مكاسب كثيرة وأحدثت نقلة نوعية كبيرة ، وفي تونس أيضاً هناك تشريعات جديدة لنصرة المرأة، والعالم يتحدث الآن

عن المرأة العربية والتقدم الذي بدأت في إحرازه.

الليبي : وماذا عن دور المرأة في نجاح الأبناء، ما هو دور والدتك مثلاً في التنشئة التي أوصلتك إلى هذه المكانة المرموقة؟

كان لأمي دور سياسي بارز، حيث كانت رئيساً للجنة التعليم والبحث العلمي في مجلس الشعب، فضلاً عن كونها فنانة تشكيلية، فعايشتُ من خلالها الأوضاع السياسية، وورثت عنها ،مع والدي، الحس المرهف، ومع هذا فإن كل حياتي كانت تسير وفقاً لقراراتي أنا، ولم يتدخل أي من والديّ فيها، وطوال حياتي كنت أرى والدي رجلاً يدفع بزوجته إلى الأمام، فكان يساندها مساندة كبيرة لتنجح في عملها، ومن أعظم ما تعلمته من أمي وأبي أن الحياة قيمة، وأن الإنسان لا يجب أن يعيش حياته ويموت ويمر مرور الكرام، لأن وجود الإنسان الحقيقي يتلخّص في البصمة التي يتركها، وهذه البصمة عبارة عن عمل، وهي العمل الحقيقي الذي يبقى ويظل في ذاكرة الناس ووجدانهم لفترات طويلة .

الليبي : بعد النجاح في إدارة شؤون المرأة علي مدار خمس سنوات، انتقلتِ لإدارة جديدة وهي إدارة الازمات؟ فهل من أفكارٍ جديدة لها ؟

إدارة الازمات أنشأت لأن في صلب الجامعة العربية إن المنطقة العربية «منطقة مأزومة» لوقوع العديد من الأزمات بها خلال الفترة الماضية سواء أمنياً أو سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً، فخلال تكليفي بهذا المنصب منذ شهور قليلة جداً شكلنا أول فريق يتبع الجامعة يسعى إلى حفظ الأمن والسلام وشبيه بالقوات الأممية لحفظ السلام والقوات الافريقية، وشكلنا فريقاً من عشرين شخص يستطيع المشاركة في أي ساحة عملٍ تختارها الجامعة.

ونقوم الآن بالإعداد لمؤتمرٍ كبير سوف يعقد في القاهرة تحت عنوان « ما بعد النزاع» واعتقد أنه من الضروري أن تمتلك الجامعة العربية خطةً قويةً حقيقيةً لمساعدة الدول العربية الخارجة من الصرعات وتقدمها لهم على المستوى الأمني والسياسي والاقتصادي والاجتماعي وبناء المؤسسات في معضلة كبيرة فقريبا ستنتهي الازمة السورية والليبية، فالأزمات نالت من البشر والدولة ككيان حقيقي.

فنحن في مرحلة ما نريد أن نقدم معونةً حقيقيةً في إعادة بناء الانسان قبل إعادة بناء العمران لتلافي ما حدث من مآسي، وليس النساء والأطفال فقط بل الرجال أيضا، فالوطن العربي يحتاج من الجامعة العربية لعمل دؤوب من اجل النهوض به.

الليبي : في النهاية، ما هو حلمك لخدمة المرأة البسيطة التي تتحمل مسؤولية أسرتها سواء في مصر أو الدول العربية؟

أحلم بتطبيق تجربة «بنك الفقراء»، للمفكر الاقتصادي «محمد يونس» في بلاده «بنغلاديش»، ونال عنها جائزة نوبل، لأن التجربة استهدفت الطبقة الفقيرة ووفرت لها تمويلاً للمشروعات والصناعات الصغيرة، ووصل الأمر إلى تصدير منتجاتها، ومن خلال هذا البرنامج الإنمائي تم تعليم النساء الفقيرات وخلق مشروعات لهن، وتنشيط التكافل المجتمعي، وتوفير مصادر التمويل والتدريب معاً، كما أحلم بأن تنال المرأة كل حقوقها الحقيقية كالرجل، ويتم تغيير العادات والموروثات الخاطئة الظالمة لها باسم الدين والعرف، مما يؤدي إلى العنف ضدها بكل أشكاله، ولهذا لا بد من إصدار تشريعات أكثر إنصافاً، ثم تطبيقها بالوعي وسيف القانون، بخاصة أن لدينا نساء على مستوى عالٍ من القدرة والكفاءة.

ملتقى الشباب العربي للتطوع .. وجائزة ليبية لأفضل مبادرة شبابية .

رؤيـة متفائلة لواقع متشاءم

منار عبد العاطي

مشاركة شبابية ليبية فاعلة قام بها مجموعة من الشباب الليبي الناشط في المجال التطوعي بالمشاركة في ملتقى الشباب العربي للتطوع في الجمهورية التونسية الذي تم تنظيمه من قبل وزارة شؤون الشباب والرياضة بتونس، والمندوبية الجهوية للشباب والرياضة بمدينة «توزر»، ودار الشباب توزر، والجمعية التونسية للتنشيط السياحي والثقافي، ومركز إيلاف للتدريب الإعلامي من العراق، و شبكة المراكز العربية للتدريب، وذلك في دورته الخامسة من 11 إلى 14 مارس 2019

ضم الملتقى شباباً ذوو مبادرات، ومؤسسات تطوعية من مختلف الدول العربية، واتسم بالنظام والرقي الفكري، حيث سعى الشباب المشاركون إلى تحقيق أهداف هذا الملتقى الشبابي وهي نشر ثقافة العمل التطوعي وتنمية روح العطاء لدى الشباب، والعمل على تطوير المهارات الاجتماعية ،

وتبادل الخبرات والتجارب، وخلق أجواء تنافسية شبابية وطنية بينهم ودعم قيم المواطنة الفاعلة ، والارتقاء بالفكر الشبابي، وتنمية الفكر الإيجابي، وتحمل المسؤولية والقيادة وإعدادهم للمشاركة الاجتماعية الفاعلة ، والتعريف أيضاً بمبادرات الشباب الإيجابية وتعميمها في الوطن العربي.

وأيضا ضم النشاط العديد من الزيارات للمناطق الأثرية بتونس كمدينة «القيروان» و«المدينة العتيقة»، وزيارة «منتزه الشاق واق» وأيضاً مدينة الثقافة بالعاصمة تونس.

وبجانب الزيارات التعريفية بالحضارة والتاريخ التونسي كان هناك العديد من الورشات التدريبية الفكرية، حيث ضمت ورشة دليل المتطوع إشراف الاستاذة «نورة بو عقة» و«عفيفة هاني»، وورشة الظهور الاعلامي المتميز للمتطوعين، إشراف الدكتور «أحمد الجاف»، وورشة إعداد ويب سايت «موقع» خاص للأعمال التطوعية، إشراف «رضا اللبار» و«معتز اخليف» وورشة التعايش السلمي، إشراف السيدة «آمال عميرة»، وورشة ميدانية للعمل التطوعي حيث قام المشاركين بإعادة طلاء الساحة العامة بوسط مدينة «توزر»، ووضع الأعلام العربية بها، وتسميتها بساحة الشباب العربي، حيث كانت انطلاقتها على أيدي الشباب المشاركين من إحدى عشر دولة عربية .

وبجانب هذه النشاطات الفاعلة تمت زيارة مقر ولاية «توزر»، ومناقشة العديد من الأمور الشبابية مع والي توزر، الوالي أعرب عن امتنانه وسعادته برؤية هذه الطاقات العربية التي تهدف إلى التطوع لخدمة أوطانها.

أيضاً، تم عرض التجارب التطوعية لجميع المشاركين، حيث كانوا حقاً نموذجاً للتحدي وموضعاً لإلهام الكثيرين.

من ليبيا كانت المشاركات مميزة وفعالة؛ الفريق الليبي تكون من ستة أفراد وهم العدد الأكبر بين جميع الدول المشاركة، ،هم «منار عبد العاطي» في مجال التراث والثقافة الليبي،

الفريق الليبي تكون من ستة أفراد وهم العدد الأكبر بين جميع الدول المشاركة

ومؤسسة قلم الشباب التي تتمثل بالأساتذة «أحمد القاضي» و«محمد القلاي» و«محمد بن مادي»، ومبادرة التعليم الإلكتروني التي تمثلت بالأساتذة «معتز اخليف» و«رضا اللبار».

وتم في الختام تكريم الشباب المشاركين، وقد تحصل على جائزة أفضل مبادرة عربية لعام 2019 وهي مبادرة التعليم الإلكتروني للشباب «معتز اخليف» و«رضا اللبار» من ليبيا.

نجاح الشباب الليبيين هو نجاح شباب ليبيا جميعا، كما تعودنا دائماً، الشباب الليبي في الموعد وجاهزون للعمل التطوعي والثقافي من أجل سلام ليبيا.

وفي ختام البرنامج الشبابي التطوعي تم إلقاء توصيات واقتراحات الشباب لمبادرة عربية شبابية مشتركة وتسليمها إلى وزارة الشباب والرياضة بالجمهورية التونسية لتضمينها في مشاركة تونس في عاصمة الشباب العربي التابع لإدارة الشباب والرياضة بجامعة الدول العربية 2020/2019.

قالوا

لا نعاني من نقص في الأموال بل من زيادة في اللصوص.

- ادواردو غاليانو

الطبخة

أحمد يوسف عقيلة

(أ)

.. «عزيزة» تُحضِّر للغداء.. بجانبها راديو صغير مغطّى بقماش مُلوَّن شفَّاف.. من فتحة القماش يبرز هوائي مقطوع الرأس.. الراديو مركوز فوق عُلبة الملح.. يُحشرج بأغنية عن الوطن.

(ل)

... الحلّة فوق الموقد.. الزيت يغلي.. سفرة اللوح المستديرة الصغيرة مُزدحمة بالمقادير: لحم.. بصل.. طماطم.. فلفل.. ثوم.. بهارات.

(ح)

... ينقطع الإرسال فجأة.. يبدأ البث المباشر من تحت قبَّة البرلمان لتشكيل الحكومة.. يُستهل بالسلام الوطني.

(ك)

... لحظة جلوس جلالة الملك على عرشه.. يستقر اللحم في قاع الطنجرة.

يتم الإعلان عن اسم رئيس الوزراء.. يُطشطش البصل في الزيت.

وزير الداخلية يصعد المنصّة.. يهوي قرن الفلفل في أثر البصل.

يستلم وزير الصحة حقيبته.. يتدحرج فَصُّ الثوم سابحاً.

يصفِّقون لوزير الإعلام.. تدور ملعقة الطماطم صابغةً «التقلية» بالأحمر.

(و)

... اكتمل نِصاب الحكومة.. استلم الوزراء حقَائبهم.. عُزِف السلام الملكي.

ذاقت «عزيزة» طبيخها.. فاكتشفت أنها نسيت الملح.

سحبت المملحة.. انقلب الراديو على ظهره.. لكن الحكومة - على ما يبدو - لم تتأثر بهذا الانقلاب.

(م)

... كانت تذوق الطبيخ بامتعاض.. حَرَّكتْ.. أضافت مزيداً من الملح.. رَشَّت قليلاً من البهارات.. ذاقت مرَّة أخرى.. هزَّت رأسها.. لا جدوى.. رائحة الطبخة لا تُطاق.

أهو تعفُّن اللحم..؟ أم فساد البصل..؟ أم انتهاء صلاحية الطماطم..؟ مهما يكن.. فإنَّ الطبيخ بدا أشبه بالقيء.

(ة)

... الكلب يتضوَّر جوعاً.. يُبصبص.. يسيل اللعاب من زوايا فمه.

كفأت «عزيزة» طبيخها.. طاف حوله.. تشمَّم البخارِ الحارّ.. لوى عنقه باشمئزاز.. أقْعَى.. استلقى على جنبه.. دسَّ رأسه بين رجليه الخلفيتين.. وأخذ يلعق أعضاءه.

ليلة زلزال المرج

ملحمة الروايات الشفهية

رجاء الشيخي

في الحادي والعشرين من شهر فبراير عام 1963م .. وقعت حادثة دامية هزت مدينة المرج وسكانها ... زلزال قوي يضرب المدينة ..راح ضحيته أكثر من 400 شخص أغلبهم أطفال .. سردت جدتي لي بعضاً من تفاصيلها .. كانت ليلة ماطرة .. حالكة السواد .. صفير الرياح يجوب سماء المدينة الغارقة في الظلام .. تقول جدتي، في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان .. قُبيل صلاة التراويح بلحظات.. ..انفجار ضخم هز أرجاء المدينة .. الأهالي ظنوا أنها غارة جوية .. حيث أن مسامعهم تعودت على صوت غارات الانجليز والطليان .. الناس هموا فزعين وهرعوا إلى الشارع مستنجدين.. لم يكن هناك وقت للسؤال .. فالكل يركض دون أن يعي أين المفر والملاذ ... نواح النساء ... بكاء الاطفال.. صراخات الرجال .. البيوت مهدمة على رأس أهلها .. من نجا ونفخ الله في روحه، أخذ يبحث عن مفقوديه بين الركام..

خرجوا مسرعين يسبقهم صدى صراخهم الطويل .. تذكرت جدتي أنها تركت ابنتها

ترقد في المهد صغيرة..رجعت مسرعة لتمسك طرف قماش كانت تلفها به (قماطها) .. وضعتها على ظهرها وأخذت تلف ردائها حولها.. لجأوا إلى إحدى البيوت ذات البناء الحديث لم يتصدع من الزلزال ..هذا البيت كان ملاذاً لكثيرٍ من العائلات ..بعد أن ساد الصمت المدينة خرج الناس يبحثون عن ضحاياهم بين الانقاض .. أخذوا يحصون الموتى ..

تقول جدتي :

- ماتت جارتي - بحسبة أختي - قبل الأذان جاءت لي من بيتها بالطعام ..واخبرتني أنها وبقية الجارات سيأتين الليلة للاطمئنان على صحتي بعد أن وضعت مولودتي .. جارتي وجدوها تحت طوب بيتها غارقة في دمها .

- جارتي الأخرى والتي لا تبعد عني بمسافة قضت نحبها هي وصغارها وابنتها التي جاءت من طرابلس لزيارة أهلها.. عائلة بأكملها راحوا ضحايا هزة أرضية ..

- بوهم* كان ايصلي في المغرب في الجامع، ولما جاء قعد ايعيّط* في الشارع ويقول (يا ناعلي، ثمانية ما هم اشوي)، التموا عليه الجيران وقعدوا يطلّعوا في العويلة من تحت الحيط والتراب.

- العرب كلها كانت فاقدة، ماوالي شاقي بوالي*، كل حد يدّور على هله* ناجيين والا ميتين.. رمينا* على حوش مبني جديد وقعدت الوشنات* تلتم فيه ..والصبايا يتناوحن على غيابهن، والعويلة يتبارموا من احذانا مفجوعين وكل ساعة ايجيبوا نبا* عرب منقطعة ..

- حطونا في خيم، وسيدي ادريس دزلنا ولي العهد، وما عقبّ خير وما جانا، الخبزة جتنا من بنغازي، والبطاطين جنا، والمونة ما غابت علينا، وقعدنا على هالحال مدة ..بعدها العرب اطرطشت، فيه اللي بنى في الشليوني، وفي اللي حدّر لبنغازي، وفيه اللي رد لبراكته، وكل حد عدى في حاله ..

الكاتب والصحافي سليم الرقعي من مواليد المرج القديم 1963م .. يقول الرقعي إنه ولد بعد وقوع الزلزال بعدة أيام :

- دائماً ما كنت استمع لأحاديث والدتي وشقيقتي الكبرى حول حادثة الزلزال.

أخبرتني أمي - رحمها الله - أنها وشقيقتي كانتا في المطبخ تجهزان بعض الكعك إيذاناً بقرب عيد الفطر .. والدي واخوتي كانوا يستمعون (للراديو) بعد أن انهوا افطارهم .. كانت ليلة السابع والعشرين من رمضان.. دوى صوت قرقعة هائلة يشبه إلى حد بعيد سقوط القنابل التي تلقي بها الطائرات الحربية وانفجارها بقوة مرعبة – فوالدتي كانت قد عاشت طفولتها في بنغازي أبان الحرب العالمية الثانية، وحضرت الحرب التي نشبت هناك بين المحور والحلفاء - لذلك اعتقدت - للوهلة الأولى - أن ما حدث كان عبارة عن انفجار قنبلة ضخمة، ثم أخذت الأرض تهتز بشكل عنيف لا يمكن معه الوقوف على القدمين، وبدأ البيت في التصدع وانقطعت الكهرباء ... وساد الهرج والمرج والصراخ .. ولكن والدي وأخي الأكبر تحركا بسرعة وأخذا يبحثان عن أفراد العائلة واحداً واحداً ثم أخذا في إخراجهم من البيت بعد أن اضطرا إلى كسر الباب الذي عجزا عن فتحه ، ربما لقوة الانفجار .. كانت فاجعة رهيبة، وكانت الصدمة كبيرة.

تهدمت معظم المباني، وارتفع صوت الصراخ والاستغاثة في كل مكان .. انهارت البيوت فوق الجثث بشكل مرعب ومؤلم.. وسقط يومها الكثير من الضحايا من سكان المرج والذين قُدر عددهم فيما بعد بـ(400) شخص ماتوا بسبب هذا الزلزال الرهيب، وهو عدد يُعتبر كبيراً مقارنة بعدد سكان مدينة المرج وسكان ليبيا الضئيل في ذلك الوقت.

- وتحركت الحكومة الليبية يومها بسرعة،

وزارت موقع الكارثة، وأقامت مخيماً لإيواء المتشردين بعد أن تهدمت منازلهم .. وقضت عائلتي – وأمي حامل بي – تلك الليلة الرهيبة والباردة من ليالي رمضان في المخيم وسط صراخ الناس وبكائهم وعويلهم بسبب فقدان أقربائهم وجيرانهم .

ثم في صباح اليوم التالي نقل والدي العائلة إلى بنغازي .. إلى بيت عمي .. حيث استقر بهم الحال هناك..

شاهد آخر من مواليد المرج القديم يسرد لنا تفاصيل ليلة الزلزال وكيف قضى مئات الناس نحبهم تحت الأنقاض..

محمد عبدالعزيز، التقيته حينما كنت أبحث عن شهود عاشوا تلك الحادثة بوقائعها المُفجعة .. يقطن الحاج عبدالعزيز مدينة المرج القديم الى هذا اليوم.. كان في تلك الفترة رجل أمن التحق بجيش المملكة الليبية، حيث كان وقتها صبياً في الثامنة عشر من عمره ..

ـ كنت وأخي الذي يصغرني سناً نلعب السيزة*، وأمي ـ ووالدي رحمة الله عليه ـ في الغرفة المجاورة يحتسون الشاهي بعد أن أنهينا افطارنا في تلك الليلة الحالكة .. اهتزت الأرض من تحتنا، لم نعي ما يحدث ..رأينا سقف البيت وهو ينهمر فوق رؤوسنا ..عقبه انفجار عنيف هز المنطقة وضواحيها .. أختبأ شقيقي تحت طاولة من الحديد.. بينما خرجت مسرعاً أبحث عن أهلي وهم يصرخون من هول الفاجعة.. أمي تلتقط أخوتي بين أحضانها وتهرع للشارع مستغيثة بمن حولها ..بينما والدي يبحث عن أخي تحت الركام ... خرجنا وقد فقدنا الأمل في أن يكون أخي حياً وسقف البيت قد انهار فوق رأسه ..

ـ استنجدنا ببيتٍ يأوي العشرات من الناس الهاربة من لعنة الزلزال ـ أذكر أني سمعت البعض يقول : إنه يوم الحشر ـ وإن القيامة قد أقبلت ـ الرجال يصرخون ملء حناجرهم يستغيثون بمن يجدونه أمامهم لإخراج الجثث العالقة تحت بيوتها الهاوية على الأرض ..

ـ والدي ذهب رفقة أحد الجيران لبيتنا الذي أصبح مجرد حطام .. أخذ معه بالة* وأصبح يزيل الركام لعله يجد جثة اخي الذي قضى ليلة كاملة تحت الأنقاض .. البحث لا يزال جارياً حتى الساعات الأولى لفجر اليوم التالي .. الجيش الانجليزي طوّق المكان وانتشر بين الأهالي يخرج الجثث لوضعها في مكان قد أُعد لاستقبال الموتى بأعدادهم

المهولة والمفجعة ..

ـ في الوقت الذي كان لا يزال والدي يقلب الأرض والتراب بحثاً عن أخي تحت التراب.. جارنا «سي مصباح الفايدي»، رحمه الله، سمع صوت أنين خفي تحت أقدامه.. صرخ جارنا وهو يقول :

ـ أهو يا سي عبدالعزيز لقيته، «فرج» تحت الحديد.

لم يصدق الجميع أن أخي لم يُصب بسوء، وأنه بات ليلته تحت الركام .. رفعوه من على الأرض وهرعوا إلى الاسبيتار* الذي كان وقتها يعج بحالات الجرحى .. تلقى أخي بعض الإسعافات الأولية، وعادوا به إلى أمي كي تقر عينها، وهي التي لم يغمض جفنها منذ ليلة البارحة رغم محاولات الجيران مواساتها والتخفيف من مصابها، بان الكل فقدوا أهلهم وأبنائهم.

ـ أذكر أننا انتقلنا إلى مخيماتٍ أُعدت للناجين من سكان المرج القديم.

صبيحة اليوم التالي جاء المفتي للأهالي وطلب منا عدم الصيام نظراً لهذا المصاب الذي ألم بالسكان وهم يبحثون عن مفقوديهم بين الجثث والحطام ..

ليلة الحادثة كان العقيد المتقاعد «حسن الجبالي» يتولى الحراسة بمركز شرطة المرج .. يقول العقيد الجبالي :

ـ في يوم السابع والعشرين من رمضان، الساعة السابعة ليلاً .. الناس في ذلك الوقت تتأهب لصلاة التراويح بالمسجد .. وضعت إبريق الشاهي على الكانون* أمام المركز .. وكنت انتظر رفاقي الذين فضّلوا تناول إفطارهم مع عوائلهم.. كان يوماً عاصفاً .. المطر ينهمر بغزارة.. شعرت بهزة قوية اختل منها توازني، وأصبت بالذهول من شدة قوتها .. اعقبتها هزات متتالية دون توقف .. سمعت صوت صراخ واستغاثة، سألت أحد المارة، أخبرني أن زلزالاً ضرب المرج (والميت أكثر من الناجي) .. كان مشهداً تشخصُ له الأبصار، وتشيب من هوله الأجنة في الأرحام .. البيوت مهدمة فوق أهلها ..أطفال ونساء تحت الركام .. الكل يركض ويستغيث .. شاهدت الرجال وهم يصرخون ويبحثون عن عوائلهم تحت الأنقاض..يقلبون الأرض ويستنجدون بالجيران، المشهد لا يمكن وصفه بأي شكلٍ من الأشكال.

دخل الجيش البريطاني وطوق المدينة وشغّل المولدات الكهربائية لتوفير الكهرباء والتفتيش عن الضحايا وإخراجهم من تحت الركام ..عدد الضحايا تجاوز 360 شخص من بينهم أطفال .

خلال إجرائي لهذا التقرير وبحثي عن شهود عيان عاصروا فترة الزلزال بتفاصيله وأحداثه الدامية ..التقيت بـ : «عمتي سعيدة» حيث استقبلتني بمنزلها الكائن بحي 500 بمدينة المرج الجديد .. «عمتي سعيدة» هي ذاتها حكاية تروي ألف حكاية.. طفلة لا يتجاوز عمرها السبعة أعوام، فقدت أهلها في حادثة مأساوية موجعة ... لم يبق لها من يواسي مصابها ويضمد جراحها ... أخبرتني عن تفاصيل ذاك اليوم وكأنه حدث بالأمس القريب . ((فقدت أهلي جميعهم)) ، انهار سقف الدار فوق رؤوسهم ...قبل أن تستحضر تلك التفاصيل المخضبة بالوجع والفقد... كانت الدموع بوابة الذاكرة والتي عبرت من خلالها «عمتي سعيدة» إلى حيث وقعت الحادثة :

ـ قبل المغرب السماء انقلبت طراقيع* ورعود ومزن، وبعد الفطور اتكأ بوي في الدار احذا امي .. وخوتي يلعبوا يالاهم .. قالتلي أمي «فزي* يا سعيدة.. جيبي عدالة الشاهي لباتك* قبل ما يمشي للتراويح .»

فزيت نجري نغسل في العدالة*.. ساعتها الحواشين* ابنا* قديم، دار ووسط الحوش بلا سقف .. رفعت راسي وانا انحق بهرة

حمرة* ..عزقت* العدالة وجيت نجري لأمي ولفيت على كتوفها.. قالتلي: عدي عدي بلا هبال هذه طرقاعة .. وانظر وين انزلت.
طلعت من الدار وما وصلت وسط الحوش الا والدار متكسكسة* فوق راس هلي .قعدت انعيط وانثغبر* قدام حوشنا .. جاني جارنا «خميس الحمروش» يجري : ((كنك* يا سعيدة)) قلتله : ياناعلي يا عمي خميس هلي طاحت عليهم الدار..
لفا علي عمي خميس وحطنا في بابور، وشالنا برا المدينة، بتنا ليلتنا وفي الصبح عدا الحاج خميس لعمي وقاله : عظم الله اجركن خوك وهله طاح عليهم سقف الدار، ما انجي منهم امفيت سعيدة وراني خذيتها مع واشوني .. جاء عمي وجت حكومة سيدي ادريس والانجليز.. وطلعوا هلي من تحت التراب ..وستفوهم قدامي اتقول سردينا احذ بعضهمن امي وبوي وخوتي الثلاثة واحد بو عام والثاني بوعامين والثالث بواربع اعوام...
عشت مع سيدي عوض جيعانة، ورباني، وجرى النصيب وخذاني لولده قال ما نعطوا خيرنا لغيرنا..
الحاجة سعيدة أخبرتني في نهاية حديثنا أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان في كل عام كأنه اليوم الذي شهد حادثة الزلزال ...
ابكيهم في كل حين ولكن في ذكرى وفاتهم تخونني دموعي ولا تفلح كل محاولات ابنائي مواساتي فالجرح عميق لم تداوه كل تلك السنون ... أنجبتُ أطفالاً واصبحتُ أماً ولكني لم أكف يوماً عن افتقادي لأهلي واحتياجي لعائلة وأخوة أشد بهم عضدي ... هناك، في ذاك الوقت من الزمن كان سكان مدينة المرج القديم في موعدٍ مع القدر .. لم يكن في حسبانهم أن زلزالاً سيخسف بهم الأرض، وأن الركام سيغطي المدينة بأسرها ... رائحة الموت التي سكنت بيوتهم في تلك السويعات التي سبقت لحظة وقوع الحادثة لم يستدركها أحد .. كانوا آمنين في ديارهم وبين عوائلهم ... على حين غرة وقعت المجزرة وأضحى الجميع أشلاء متناثرة .. لم يرأف الموت بحال شيخ في ضعفه، ولم يستعطفه صراح طفلٍ في مهده .
حادثة زلزال المرج القديم لا تزال عالقة في أذهان الكثيرين ممن عاصروا وقائعها الدامية وأحداثها المُفجعة.. الحاج «سعد القطعة»، في التسعينيات من عمره كان له نصيبٌ من الفقد ... حكايته التي يروي تفاصيلها بعبراته الخانقة .. والتي ألزمته الصمت ما بين الحين والاخر .. تحجرت الدموع في مقلتيه حينما استحضر أرواحاً لم تغب عن ذاكرته المثخنة بالوجع ..
يقول الحاج سعد القطعة : لم تغب عنيِّ تفاصيلها، كيف لهذه الذاكرة رغم كُهلها أن تجسد ذاك المشهد وكأنه حدث ليلة البارحة ... صراخ أطفالي وهم تحت الركام .. (يا باتي يا باتي دونك لي) يا لها من استغاثة، وياله من أنين ..أصواتهم عالقة في ذاكرتي المثقلة بالصور والصراخات) كُنا نجلس قرب بعضنا البعض في دارنا التي لا نملك سواها :
- الحال كان حال اشتاء، والمطر خيط من السماء.. انريد نمشي اشنيل الكعك للكوشة يخبزوه على العيد .. انا طلعت قدام باب الدار ونلبس في كنرتي والوطا تبرم بي قعدت انعيط ونقوللهم تعالوا جاي اطلعوا من الدار .. اولدي البكري كانت حركته اسرع، جاء يجري احذاي وكلا الباقي طاح عليهم سقف الدار وتعرموا على بعضهم.. والضي وقتها طفا.. والمطر اشبوب اشبوب ..طلعت نجري برا ونلقى الدنيا كلها تجارا ويتعايطوا ..عويله وصبايا ورجاله يطايحوا في وسط الطريق .. جاني خوي وجاري وقعدوا يرفعوا في سقف الدار وندوروا في الواشون وامهم.. سمعت

صوت يقول يا باتي يا باتي.. جيت نجري شوره.. نفضت التراب والسنور وهي تطلع بنتي الكبيرة عمرها 7 سنين هذه الوحيدة اللي ناجية مع خوها ..وساعة ونصيب وانا نسمع صوت واطي يستغيث دونكم يا هووو ..لومينها ام الواشون رفعنا عليها السقف ..بان علينا راسها خذت نفس وشربناه اجغيمة امية .. وفزعوا الجيران ورفعنا السقف من عليها ... وصل الهلال الاحمر وشرطة الملك ادريس وشرطة الانجليز وقعدوا ينقذوا في الناس والاهالي من تحت الركام ... ماتوا ثلاثة من عويلتي عيل عمره 11 وبنت عمرها عامين ومولودة عمرها شهرين....
هامش لا بد منه :
بوهم : ابوهم- أي والدهم / أيعيط : يبكي وينوح ./ ما والي شاقي بوالي : لا أحد يهتم بأحد .
هله : أهله وذويه ./ رمينا : لجأنا ./ الوشنات : العوائل ./ نبا : أنباء ./ اطرطشت : تفرقت./ السيزة : لعبة شبيهة بالشطرنج./ بالة : جاروف./ السبيتار : المستشفى./ الكانون : الموقد./ والميت أكثر من الناجي : الموتى أكثر من الناجين./ طراقيع : صوت الرعد ./ فزي : قومي من مكانك ./ لباتك : لأبيك ./ العدالة : سفرة الشاهي كاملةً ./ الحواشين : المنازل./ ابنا قديم : بناء متهالك ./ بهرة حمرة : هالة ضوء حمراء ./ عزقت : رميت ./ متكسكسة : متداعية بالكامل ./ انثغبر : اثير الغبار ./ كنك : ماذا بك ؟/ قلتله : قلت له .

هذا الفتى شاهد غضب اللّه

مقال نشر في مجلة life الأمريكية بتاريخ8 مارس 1963 كتحقيق صحفي عن كارثة زلزال المرج.

تحت أشعة الضوء الساطعة في خيمة المستوصف لإحدى مخيمات الإنقاذ في مدينة المرج، تشاهد شابين أمريكيين يعملان في إدارة الرعاية الطبية التابعة للقوات الجوية الأمريكية يعالجان صبياً جريحاً تملكه الخوف والرعب. :

ـ «أهدأ .. لا تتحرك كثيراً ..»

تمتم الطيار (رتبة فئة ثانية سلاح جو) «جو رايس» البالغ من العمر 22 عاما، من إنديانا ميسيسيبي»، يربت على خد الصبي، مستطرداً:

ـ «آآآه.. أن ما أريد أن أقوله لك أيها الصبي هو أنك ستكون على ما يرام، تماماً هذا هو كل ما في الأمر».

كما تشاهد إلي اليمين الطيار (رتبة فئة ثالثة سلاح جو) «رون لوخ» ـ 19 عاماً ـ من سانت لويس، يقوم بحلاقة رأس الصبي ويخيط الجرح، وفي المقدمة إلى الشمال ترى والد الصبي يجلس القرفصاء بجانبه. فما حدث في المرج هو أنه خلال ثوانٍ مرعبة من الزمن في إحدى الليالي، شاهد العالم الذي عرفه هؤلاء العرب أسوأ زلزال شاهدته ليبيا منذ قرون من الزمن. ففي مدينة برقة هذه (يسمونها بالعربي المرج) والتي يبلغ عمرها حوالي 2500 عام، وحيث كانت هذه العائلة تسكن، اختفى حوالي 300 شخص فجأة وجرح 200 آخرين وحرم حوالي 10000 شخص من مساكنهم.

من غرابة هذا الزلزال المرعب أن أغلب الضحايا الذين كنت أشاهدهم في المدينة المنكوبة كانوا من النساء والأطفال، فالأرض زلزلت زلزالها خلال إعصارٍ من الأمطار الغزيرة، وبدون أي إنذار يذكر، حيث كانت الساعة تشير إلى 7:19 مساءاً، عندما كان أغلب الرجال في طريقهم من العمل إلى بيوتهم.

كان الكثير من الأطفال نائمين، وكانت أمهاتهم يعددن وجبة العشاء للكبار، وفجأة بدأت الشوارع تهتز وتترنح. وبدأت حيطان المنازل المبنية بالحجارة تتشقق وتتهاوي على الأرض، وبدأت سقوف المنازل

تنهال على رؤوس السكان بين صرخاتهم المدوية فلم يكونوا يدرون بما يحدث.

في خضم ساعات الرعب التي تلت.. أرتبك الذين نجوا بحياتهم ففروا هاربين إلى الهضاب القريبة يحفرون التربة بحثاً عن أقاربهم بين الأنقاض يدعون اللّه أن يجدوهم على قيد الحياة.

ولكن المساعدة جاءت بسرعة خاطفة، حيث اقلعت الطائرة بالطيارَيْن «رايس» و«لوخ» مع مستشفى كامل من قاعدة «ويلاس» في طرابلس كجزء من فريق مساعدات القوات الجوية الأمريكية، وبدأوا في العمل إلى جانب القوات البريطانية والقوات الليبية.

قامت فرق الإنقاذ بنصب مخيمات لإجلاء السكان ونقل ذوي الإصابات البليغة بطائرات الهيلكوبتر إلى المستشفى في بنغازي، وتم دفن أول 200 من الموتى في قبر جماعي.

وعندما خفّت وتيرة الهزات الأرضية وانتهت الهيستيريا، امتلك الناس السكون. قال أحد الأطباء أن العرب هنا يعتقدون أن هذه الكارثة جاءت من «فوق» مشيراً إلى السماء. وبينما تستمر الحياة انجبت إحدى السيدات طفلاً على بعد عدة ياردات من الخيام الأمريكية، وجاءت به إلى الخيمة للعلاج. بينما خرجت امرأة أخرى عن عقلها وبدأت في الصراخ، ومثل هذا الزلزال وولادة ذلك الطفل، فهذه أيضاً كانت من مشيئة اللّه.

المراسل: «جوردان بونفانت»

حصص الماء:

في الوقت الذي ترى فيه السكان يتزاحمون على خزان المياه، تشاهد الجنود الليبيون (أعلاه) يقومون بتوزيع المياه بملء أية حاوية متوفرة، حيث تطلب الأمر جلب المياه من خارج المرج بسبب تلوث المياه في المدينة.

نقل أحد الركاب:

فتاة جريحة (أدناه) تتحلى بحلقة في أنفها يتم اجلاؤها على نقالة بالطائرة.

المشافي الرحيمة :

في إحدى خيام المستشفى في ضواحي مدينة المرج المنكوبة، يقوم الفنيون الطبيون الأمريكيون بعلاج صبي مصاب بجراح بينما يقوم والده بالجلوس إلى جانبه لتشجيعه والتهدئة من روعه.

المدينة المحطمة:

إنقاذ ما يكن انقاذه من البراميل الحديدية

من جبال الركام :

اضطر هذا الليبي إلى الهجرة من مدينة المرج من أجل بناء حياة جديدة في مكان آخر. ربما سبّبَ هذا الزلزال في إنهاء هذه المدينة التي يبلغ عدد سكانها قبل الزلزال 13000 نسمة والتي أصابها زلزال آخر في القرن الثاني أو الثالث قبل الميلاد، وحتى أنه أصابها زلزال آخر ليس بالبعيد، أي في عام 1923م. من الأرجح أنه سيتم بناء مدينة جديدة على موقع آخر أكثر سلامة فوق الهضاب القريبة من هنا.

ذاكرة جدة التجارية وسجلها الاقتصادي القديم ..

شارع قابل..
أكثر من 100 عام من العراقة

نجاة الماجد - السعودية

يقع «شارع قابل» في وسط مدينة جدة السعودية، ويمتد من الغرب إلى الشرق، ويعتبر أهم شارع في جدة القديمة على الإطلاق، هذا الشارع بناه «الشريف حسين بن علي» في الثلاثينيات الهجرية للقرن الرابع عشر واشتراه آل قابل من ابنه الشريف علي عام 1344هـ.

وقد روى الأديب والمؤرخ «محمد علي مغربي» قصة تأسيس شارع قابل في رواياته لسيرة سليمان قابل قائلاً :

((هذا الشارع بناه «الشريف الحسين بن علي» في الثلاثينات أثناء ولايته على عرش الحجاز، وفي عهد ابنه «الشريف علي بن الحسين» اشتراه «آل قابل» من الشريف علي مقابل بعض المال وبعض الأغذية التي كانت حكومته في أشد الحاجة إليها لتصرف للجند خلال الحرب، واستطاع الشيخ «سليمان قابل» بذهنيته المتفتحة أن يجعل من هذا الشارع أهم شارع في مدينة جدة في ذلك الزمان.))

كان الشارع وقتها مكشوفاً، فتعاقد مع شركة ألمانية على تسقيفه، وتم تغطية الشارع بسقف من المعدن المضلع (التوتوه) يقوم على أعمدة حديدية، ويرتفع ارتفاعاً كبيراً، لأن علو الشارع كان قد بني عليه دور من المكاتب التجارية.

وأضاف المؤرخ «محمد مغربي» :

((لقد شاهدت العمل في تغطية الشارع في الأربعينات في أوائل العهد السعودي، وهو يسير على قدم وساق حتى تمت تغطية الشارع على أحسن ما يكون في ذلك الزمان.))

وأشار إلى أن «آل قابل» لم يكتفوا بتسقيف الشارع، ولكنهم استوردوا ماكينة كهربائية ضخمة وادخلوا الكهرباء والتهوية الكهربائية إلى كل دكان ومكتب في الشارع، فتدافع أصحاب الدكاكين إلى الاستئجار في شارع قابل، وأصبح الشارع مختصاً بالأقمشة ،وبعض البضائع التي تميز بها شارع قابل.

والجدير بالذكر أن «شارع قابل» كان بداية ظهور الطبقة المتوسطة في جدة تلك الفترة، والتي حولت التجارة وسيطرت على الاقتصاد ومنها خرج معظم تجار جدة بحسب ما روت الشاعرة «ثريا قابل» في لقاء سابق لها تحدثت فيه عن شارع قابل وعائلة قابل، وقالت :

((أزور الشارع في شهر رمضان من كل عام، وأعود خلالها بالزمن لطفولتي وأنا أمشي في الشارع وأتوقف أمام دكان الخواجة (ينّي) حيث تدهشني الألوان وطريقة التنظيم التي يعدُّ بها زجاجات الزيتون والمخللات وأنواع الأجبان.))

وأشارت إلى أن معظم تجار المملكة بدأوا من شارع قابل، وبعضهم بدأ من بسطة صغيرة في الشارع و لم نكن نأخذ منهم إيجاراً رغم أنهم (يبسطون) في الشارع الذي نملك كل دكاكينه ومتاجره، بينما مستأجر الدكان كان يتسلم منا (لمبة) ومروحة.

وتتذكر «ثريا قابل» عندما عادت من مصر بعد

ترحـــال

تخرجها :

((يوم عدت بعد تخرجي من مصر توليت ترتيبات حسابات المتاجر والدكاكين ودفاتر المستأجرين نيابة عن العائلة, وعرفت أسماء التجار جميعهم.))

ويذكر المؤرخ محمد علي مغربي في سيرة «سليمان قابل» أنه كان تاجراً كبيراً ، وكان موظفاً كبيراً كذلك, قبل العهد السعودي كان رئيسا لبلدية جدة, وحينما تأسست المحكمة التجارية في جدة وهي أول محكمة تقام من نوعها في العهد السعودي وتقوم بالفصل في القضايا والأمور التجارية كان سليمان قابل أول رئيس لها، و قبل ذلك كله كان رئيساً للإدارة التي تمنح تراخيص الاستيراد، ومن أعماله التجارية انه أول من تولى رئاسة أول شركة للسيارات في جدة في العهد السعودي، وعمل على استيراد سيارات «فورد» و«ستودي بيكر»، ولم تحظ هذه الشركة بالتوفيق فتمت تصفيتها بعد أن واجهتها العديد من المشاكل.

وصف شارع قابل وموقعه :

يبدأ شارع قابل من «النورية» شرقاً وينتهي إلى «باب البنط» غرباً، و«الخاسكية» سوق يبدأ من منتصف شارع قابل يمتد جنوباً، ثم لا يلبث أن يتجه شرقا موازياً لشارع قابل من الجهة الجنوبية لينتهي إلى النورية حيث «بيت زينل» الذي أزيل في افتتاح الشارع الجديد (شارع الذهب) مع ما أزيل من النورية .

جغرافيا الأسماء، تاريخ غني بالتفاصيل :

وعلى اليسار إذا تم دخول «الخاسكية» من شارع قابل، يوجد دكان «محمد علي بالطو»،

رجل أصله من بخاري، وكان يبيع الخردوات والقزاز، ثم دكان «مصطفى لبني»، وهو من أهل مكة المكرمة، وكان يبيع المسامير وأدوات النجارة لصنع الأبواب والشبابيك، ثم دكان «حامد الدخيل»، وكان يبيع الصحون والكاسات والفناجين، وبعده بقالة «وجيه باريان»، ثم محل لبيع القماش لنوري أبو زنادة، ثم دكان «جميل أبو العينين»، وكان مختصاً في بيع العمائم والأحاريم الرشوان والحلبي والبقش الكشميري، وكان زبائنه أفنديات جدة، ثم دكان لأحد السبحية من بيت «اللغات»، وكان يبيع السبح، وإلى جنوبه دكان الشيخ «عمر سنبل»، وكان أحد تجار «اليسر (المرجان الأسود)، وكان يبيعه في مدخل بيته في حارة البحر. أما دكانه في الخاسكية فكان لبيع السبح المصنوعة من اليسر، وبعد دكان الشيخ عمر سنبل دكان لأحد الموالي اسمه «عبد الخير»، كان يشتغل في إصلاح الكوالين والأقفال، وبعده قهوة «خبيني» التي أصبحت بعد ذلك دكاناً استأجره السيد «عبدالله شربتلي» ليبيع فيه العصير والبرتقال، ومنه بدأت تجارة الشربتلي. بعد قهوة خبيني يوجد مستودع لباشميل، وبعده دكان صيرفي اسمه «ابن لعثم»، وكان من الحضارم، وبعده بقالة «العمودي»، ثم دكان الشيخ «علي حفني» ثم دكان عطار اسمه «احمد آقو» ودكان للصيرفي «بارعيده» .

ثم يتجه الشارع إلى الشرق حيث يوجد دكان «صبري»، بياع الخبز والتمر، ثم فوال اسمه «الكبش» وبعده بياع «مقادم»، وهو رجل من «جاوه»، وبعده دكان خياط اندونيسي، ثم قهوة «سعيد حاتم»، وفي نهاية الشارع من الشرق يوجد «بيت زينل»، وهو عبارة عن مجمع سكني لآل زينل وإلى جواره بيت «العطيوي» شيخ الجزارة، ثم النورية .

أصل البنك الأهلي السعودي :

دكان «احمد آقو» ودكان «بارعيده» اندمجا في دكانٍ واحد عبارة عن مصرف صغير لعبدالعزيز و«صدقة كعكي»، وكان يعمل معهم الشيخ «سالم بن محفوظ» ، ومن ذلك الدكان بدأ «البنك الأهلي» الذي يراه الزائر لجدة الآن ضمن أعلى أبراج جدة وأقدم المعالم العمرانية بها ..

ولازال شارع قابل في جدة القديمة قائما يروي قصة حقبة من الزمن الجميل لمن يمر به من السواح والزائرين لمدينة جدة القديمة ..

قالوا

(لم أكن أستطيع إنقاذ أحد.. أنت لا تستطيع إنقاذ البشر.. بوسعك أن تمنحهم الحب ولا تستطيع تغييرهم.....تقدم لهم العزاء فحسب.)

أنانييس نين

الأزياء الشعبية المصرية ..

أم الدنيا .. والأزياء أيضاً

نسرين هاشم

قبل البدء في التفاصيل ناخذكم في جوله صغيرة للتحدث عن مصر وحدودها وما تتمتع بيه من موقع استراتيجي متميز فهي رابط جيد بين قارتي آسيا و إفريقيا وهذا الرابط يعد من أهم المميزات التي تتمتع به مصر.

حيث نجد ان تحدها من الغرب ليبيا، ومن الجنوب السودان، ومن الشمال تطل علي البحر الأبيض المتوسط، ومن الناحية الشرقية تطل علي البحر الأحمر. ولذلك فهي تتمتع بعده اختلافات بيئية وثقافات فكرية تتوارثها الأجيال

وتعكس معتقداتها ومفاهيمها الشعبية على طبيعة البيئة والتي يمكن من خلالها تقسيم مصر الي عدة مناطق تراثية وثقافية.

الأزياء فن راق علي مر العصور :

الزي بالنسبة للمراة المصريه تاج فوق رأسها، فهو جزء لا يتجزأ من تراثها الشعبي و يعكس الكثير من العادات والتقاليد كما يعكس صورة المجتمع والحياة فيه، وتختلف الأزياء التي ترتديها المرأة المصرية من محافظة إلي أخري في أسمائها وخاماتها وألوانها وبعضها لايزال مزدهراً كالزي البدوي والسيناوي، والبعض الآخر اندثر وزال مثل الزي السكندري والصعيدي.

ويعود السبب وراء اندثار الزي والتراث الشعبي في محافظةٍ ما هو الانفتاح علي العالم الخارجي والتطبع بيه والتقليد الأعمى له، فبعد أن كان لكل محافظةٍ زي مناسب لعاداتها وتقاليدها، أصبح الكل متشابهاً في ملابسه، فبعد أن كانت المرأة الصعيدية صاحبة زي محدد .. والمرأة الفلاحة لديها زي آخر .. والمرأة البدوية تملك زياً مغايراً .. وكذا المرأة الإسكندرانية تتميز بزي يختلف عنهم جميعاً .. أصبح الجميع متشابهاً في ملابسه، ولا تستطيع التفريق بين أنماط أزياء المرأة في مصر لأنها اصبحت تتبع ما يسمي بالموضة.

حكاية لكل زي :

ما هي إذن الازياء الشعبية في محافظات مصر؟ تعالوا معنا نتعرف عليها وعلي مواصفتها . .

الأزياء الشعبية:-

هي لمسات إبداعية جمالية ذات رونق خاص، حيث أنها اعتنت بظهور المرأه كقيمةٍ أخلاقية، فدقة التطريز وتجانس الألوان والاهتمام بالخامة، جعلت الثوب الشعبي محبباً لأجيالٍ عديدة ومميزة، ويقبل عليه السياح بشكل كبير. وأبرز ما يميز الزي المصري عن غيره من الأزياء هو العناية الفائقة بتطريز المقدمة بالزي بالشغل اليدوي .

أزياء جنوب مصر و النوبة : الأحمر ممنوع قبل الزواج .

يعني اسمها «فرعون الذهب»، وسميت بهذا الإسم نظراً لوفرة مناجم الذهب بأرضها عبر العصور.

وللمرأة النوبية جمال من نوع خاص، فالبشرة الخمرية والسمراء المشرقة بإشعة الشمس لها رونقها الخاص بها، والمرأة هناك ترتدي ملابس تتفنن في تطريزها بالخرز والترتر. ولها دائماً اسلوبها الخاص في اللباس حسب العمر والحالة الاجتماعية.

والمرأة النوبية قبل الزواج ترتدي الألوان الخفيفة والهادئة، وبعد الزواج ترتدي ألواناً زاهية يغلب عليها الأحمر الذي لا يسمح لها بارتدائه قبل الزواج. وعلي الرغم من أن أزياء المرأة النوبية مختلفة في التطريز والألوان والخامات

إلا أنها لابد لها من ارتداء ما يسمي بالجرجار فوق الملابس.

و«الجرجار» عبارة عن ثوب من قماش التل الأسود الرقيق ومزين برسومات منقوشة بنفس

اللون، وله تطريز يتجدد كل سنة، ويجب أن يكون الجرجار أطول من مقاس صاحبته بحوالي شبر لكي تجره خلفها، ومن هنا جاء اسمه
«الجرجار»، ولازالت الفتيات يلبسن الجرجار حتي وقتنا هذا. وقد قيل إنه صمم علي هذا الشكل لمسح أثر أقدام المرأة أثناء سيرها فلا يتبع خطواتها أحد.
ويحظي الزي النوبي بالكثير من الجاذبية خاصة وأن أشكاله تعكس الكثير من ملامح الحضارة الفرعونية.
أما الزي الرجالي فهو واحد في المجتمع النوبي في أغلب المناسبات باستثناء الأعراس، فهو يلبس الجلباب الأبيض القصير وعليه صديري به نقوش وزخارف بألوان زاهية جداً وتحته سروال أبيض .وأيضاً يلبس الرجال الطاقية التي تتواجد فيها كل الألوان الزاهية.

اسوان ثم الاقصر، القفطان والشقة :

بعد ذلك تقبل المرأة الصعيدية، وهي تختلف اختلافاً تاماً عن المرأه النوبية بالرغم من انها شريكتها في الجنوب، أو بمعني أصح في صعيد مصر. وعلي العكس من الشائع ليس كل من يعيشون في الصعيد من ذوي البشرة السمراء، ولكن لكل قاعدة ما يخالفها، ففي الصعيد أيضاً توجد البشرة البيضاء. إذ أن بياض الوجه مع الدلال والأنوثة يضفي على المرأة الصعيدية جمالاً من نوع خاص يخطف القلب والأبصار.
كانت المرأة الصعيدية تلبس يما يسمي بالملسن، وهو عبارة عن عباءةٍ واسعةٍ جداً وذات أكمام واسعة، وعندما تتأملها تجدها مدرجة بنظام الكشكشة المختلفة بالإضافة إلى ارتداء الطرحة على الرأس، وتلبس «الملس» فوق الملابس العادية، ولا تستطيع المرأة الصعيدية الخروج أو مقابلة أحد إلا بهذا الزي.
و ترتدي نساء الأقصر الجبة، وبينما ترتدي نساء «إسنا» ثياباً تشبه الجلباب البلدي، وهو رداء طويل معروف باسم «القفطان».
وأيضا في «بني سويف والمنيا» ترتدي النساء «الملس» إلي جانب رداءٍ آخر بشكل منتصف دائرة، و يسمي «شقة». وتستخدم البردة في أسيوط وهي تصنع يدوياً من الصوف الأسود، وهناك أيضا «الحبرة» من الحرير أو القطن.

القاهرة والجيزة ، مملكة الملاية اللف :

وبالتدريج نجد أنفسنا في وسط الدلتا، وهي أولى المناطق التراثية والثقافية في مصر، وتوافدت عليها العديد من الأزياء الخارجية، وذلك بسبب الاحتلال الأوربي، وعلي مدار التاريخ توافدت عليها العديد من الجنسيات أبرزها الفرنسية والإنجليزية والتركية، ولذلك فإن وجود الأزياء التراثية اقتصر علي الأحياء

الشعبية فقط فكان للزي النسائي في هذا العقد من الزمن احترام ووقار وهيبة، فكانت «الملاية اللف» السوداء و«اليشمك» سيدة الساحة، وكانت المرأة تحجب وجهها فيما عدا العينين ببرقع أو خمار، وأصبحت الملاية تلف بإحكام حول الجسم وتجمع تحت الذراعين، مع البرقع الأبيض. وكان ذلك دليلاً على شخصية بنت البلد الشهمة ذات الجانب الأصيل. وأغلب السيدات الكبار في السن كن يرتدين منديلاً سمي وقتها «أبو اوية». وذلك حتي بادرت «هدي شعرواي» بخلع البرقع وذلك بعد ثوره 1919 .
وكانت ملابس الرجال تختلف باختلاف الحرفة المزاولة فمثلاً النجارين والحدادين كانوا يرتدون سروالاً فضفاضاً من قماش «الدمور» أو «العبك»، ويشد حول الوسط بدكةٍ طويلة من القماش الصوف المبروم ومعه قميص بأكمام طويلة ثم جلباباً فضفاضاً بفتحةٍ طويلة تنتهي أسفل الصدر، أما غطاء الرأس فعبارة عن طاقية قد تلف حولها عمامة.
وكان الرجل القاهري يرتدي البدلة الرسمية بالطربوش الذي كان يعني أنه من المثقفين في ذلك الوقت .
أما باقي الشباب غير المتعلم وغير الحرفي فقد كانوا يلبسون القميص والبنطلون، وكان الطربوش في ذلك الوقت هو تاج كل الرؤوس. إذ كانت له مكانة عالية، وكان يلبسه الغني والفقير والمتعلم والجاهل .
الدلتا والوجه البحري، سحر المنديل أبو أوية
وهنا نجد أن المرأة الفلاحة تختلف كثيراً عن باقي المحافظات، وذلك لأنها تلعب دوراً مهماً في العمل مع زوجها في الحقل، فهي في الدلتا ترتدي نوعين من الثياب أحدهما بسيط في تفاصيله، وهو للمنزل والعمل في الحقل، والآخر للخروج في المناسبات والأعياد .
وفي دارها تلبس الفلاحة عباءةً من القطن المنقوش بألوان زاهية بأكمام طويلة، وتميل الملابس إلي «التقسيمة» في منطقة الصدر، ثم ينزل باتساع، وقد تعمل بعض الشيات في الثوب للزينة، ولاتختلف ثياب الخروج عن ثياب العمل أو المنزل إلا من حيث اللون ،الذي يكون غالباً أسود، ونوع الخامة التي يصنع منها الثوب.
حيث أن أغلب الملابس يكون بها «لمعة»، وتكون مطرزة بالخرز الملون والخيوط اللامعة، وقد يستبدل التطريز بشرائط من الحرير أو الستان اللامع، كما يستخدم منديل الرأس المثلث الشكل المعروف باسم «المنديل أبو أوية»، بالإضافة إلي

الطرح الحريرية والشيلان القطيفة الملونة أو الشيلان الحرير.
أما ملابس الفلاح المصري فتمتاز باتساعها وبساطتها الشديدة، فيرتدي الفلاح الجلباب الواسع غالباً، أما في غير أوقات العمل فيرتدي جلباباً آخر من الصوف لايختلف عن جلباب العمل في التصميم، ويضع علي كتفه عباءةً أو «لاسة» والعمامة علي الرأس.
في الشرقية .. سيادة البروان.
المرأة هناك اشتهرت بارتداء عباءة مشغولة ومطرزة تسمى «بروان» والتي كان أهم ما يميز تصميمها هو النقوش والتطريزات التي يغلب عليها طابع الحصاد كسنابل القمح والأرز.
الصيادين، الشنة الليبية والجرد .
تشمل مناطق الصيد المطلة علي البحر الأبيض المتوسط وبحيرات الدلتا وفي محافظات الإسكندرية ورشيد ومرسي مطروح والقري المطلة علي بحيرات المنزلة والبرلس ومريوط وأدكو، لا تختلف المرأة كثيراً عن المرأة القاهرية، فنجد أن لباس المرأة في هذه المحافظات نفس العباءة اللف، ولكن باختلاف بسيط كونها مضلعة الشكل، وأيضاً فهي ترتدي تحت العباءة ثوباً متوسط الطول بوسط ضيق وينزل بكشكشة واتساع وأكمام طويلة متوسطة الاتساع بألوان زاهية، أما بالنسبة للمرأة المسنة فهي تفضل الألوان الداكنة، ويوجد أيضاً المنديل «أبو أوية».
اما بالنسبة للرجل الساحلي ،كما يطلق عليه فكانت الأزياء بالنسبة له عبارة عن سروال من القطن الأسود واسع جداً لتيسير الحركة، وبه سيالتان وعند الحافة قد يزين بالواحدات الزخرفية ويضيق عند أسفل الساقين، وينتهي بأسوارٍ تقفل بأزرار .
كما يرتدي الصيادون «فانلة» من القطن باللون الأسود أو الأزرق ذات رقبة طويلة وأكمام واسعة، وعليها صديري فاتح ويستخدم الصيادون في غير أوقات العمل البرانيط المصنوعة من القماش الأبيض كأغطية للرأس، أو يستخدمون عمائم أو شيلان تلف حول الرأس.
أما رجال البدو فيلبسون ثوباً يصنع من قماش يطلق عليه «البيسيه» أو «البفتة»، وفوق هذا الثوب يوجد ما يسمي بالجبيرة، وهي محافظة من القماش لها حزام يعلق فوق الكتف الأيسر وتلف من تحت الابط الأيمن .وأيضاً يوجد «القبور» وهو جراب للمسدس معلق بنفس الجبيرة .
ويرتدي فوق كل هذا صديرية بدون أكمام ولا

أزرار ذات خيوط بارزة تصنع بمهارة عالية من الصوف المطرز يدوياً.
ويوجد أيضاً طاقية منسوجة من الصوف الأحمر، وتسمي «الشنة» ويُقال إنها مقتبسة من الطربوش التركي، ويتم شرائها من ليبيا حيث يوجد تقارب للعادات والتقاليد وطريقة المعيشة مع بدو مطروح .
ويوجد ما يسمي بالجرد، وهو عبارة عن قطعة كبيرة من القماش مصنوعة من الصوف الأبيض، ولا يوجد تقدير لثمنه حيث تتوراثه الأسر حالياً، وذلك بسبب أنه كان يصنع يدوياً، ويوجد نوعان من الجرد ، جرد خفيف صيفي، وجرد جريدي ثقيل للشتاء .
أرض الفيروز .. الأزرق للعزوبية والأحمر للزواج.
ونتجه الي أرض الفيروز كما يطلق عليها، واخذت منه صفتها واسمها كناية عن القمر حين أطلق عليها القدماء اسم الإله «سين»، فمنذ عهد الفراعنة إلى العصر الحديث هي البوابة الشرقية لمصر وبها طريق حورس القديم.
سيناء أرض الأنبياء والديانات السماوية بدايةً من الخليل إبراهيم –عليه السلام– الذي عبرها، وموسى –عليه السلام– الذي أقام بها مع شعبه بني إسرائيل فترة من الزمن، و«العائلة المقدسة» التي عبرتها وهي في طريقها إلى مصر.
في الحقيقة لا أستطيع التوسع في هذه النقطة بالذات لأنها تحتاج إلى موضوع مستقل ولكن سأكتفي بهذا، وهنا نجد أن الثوب البدوي يعد لوناً من ألوان الثقافة الشعبية بمختلف أنواعه وأشكاله ومقدرته علي الانتشار والتعبير عن عادات وتقاليد وثقافة المجتمع السيناوي. لأنها تحمل في طياتها ملامح التراث وأساليب الفكر والتذوق الفني في المجتمع.
وتتباهي المرأة البدوية بالأزياء، حيث كانت تتزين في الماضي بأنواع كثيرة من الملابس، وتتنوع الأزياء الشعبية تبعاً لكل من المرحلة التاريخية والبيئة الجغرافية والفئات العمرية والمكانة الاجتماعية في مصر، وتتميز بزيها الخاص وحليها الكثيرة وأغطية الرأس التي لا يماثلها في جمالها لغناه بالتطريز ذات الألوان الزاهية والتي يطلق عليها «قنعه»، وترتدي معه البدوية «البرقع» الذي يميز القبيلة التي تنتمي إليها، وجميعها شغل يدوي.
أيضاً، أقنعة الوجه المليئة بالعملات الفضية أو الذهبية والخلاخيل، فهذا التنوع تحكمه عدة أمور من أهمها الوظيفة التي يؤديها الثوب بالنسبة للمناخ. ويختلف ثوب المرأة البدوية عن ثوب الفتاة من حيث لون التطريز، فلكل منها ثيابها التي تميزها، فنجد هنا أن اللون الأحمر أو الزهري كما يلقبونه للفتاة العازبة، وباقي تطريز اللباس من الأمام والخلف بالأزرق الذي يطلق عليه «الأشهب»، ذلك الثوب الذي تقوم بتطريزه الفتاة من سن10 سنوات , وتظل علي ارتدائه حتي تتزوج بالإضافة إلي وجود حزام لربط الوسط يسمي «صوفية».
ويتم تغيير اللون الأزرق إلي اللون الأحمر للإعلان عن أنها أصبحت متزوجة , ويتم تغيير الثوب الأزرق وارتداء الثوب الذي يطلق علي لونه(الزهر) أي الأحمر مع باقي الألوان المزركشة والفواتح مثل الأصفر والبرتقالي.
أما السيدات كبار السن فيفضلن الثوب خفيف التطريز. ويوجد ثوب خاص يطلق عليه «الوجاهي»، حيث تقوم المرأة بتطريزه بأكمله من صدر يسمي «القبة» والأكمام وتسمي «الردن»، وبداية من خصر المرأة حتي الذيل يطلق عليه «البدن»، يطرز بالألوان الزاهية، وتستخدم البدوية ثوباً للأفراح والأعياد، وفي حالة الحداد ترتدي ثوباً بلون «أشهب» حيث يكون تطريز الثوب كله من اللون الأزرق.أما الرجال فيلبسون جلباباً قصيراً وتحته سروال وعليه «صدرية» وطاقية على الرأس.
وهكذا نجد أن الثياب بتنوعها واختلافها كانت تعبر هذه الاشكال والتطريزات فيها عن ربوع مصر والمعتقدات والمفاهيم الشعبية لطبيعة البيئة ..

الوشم .. بين الشعر والأسطورة

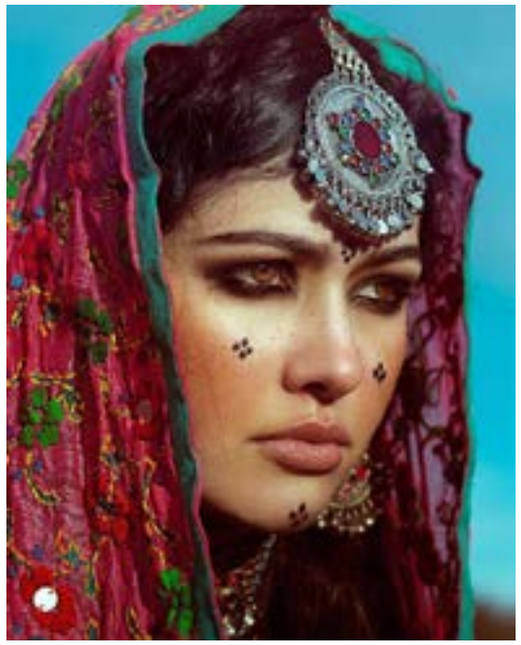

منى بن هيبة

لا تكاد تجد شاعراً شعبياً تكلم في الغزل إلا وذكر الوشم، يقول «طارق خالد الفلاح» الباحث في التراث الشعبي :

ـ عرف العرب الوشم منذ الجاهلية. وورثوه جيلاً بعد جيل، ولا زال منهم إلى اليوم من يقوم به، وعندما نغوص في أغوار الشعر الشعبي محاولين استكشاف شيء عن تاريخه محلياً، نجد أقدم الشعراء الذين وصلنا شعرهم قد ذكروه، ومنهم الشاعر «امحمد قنانه» الذي يقول في إحدى قصائده : ((رقن عزوم النظر من اوباري .. وجدن افكاري .. علي موح مولاة الوشام اخضاري))

ليس قنانه وحده من ذكر الوشم في شعره.. بل لا تكاد تجد شاعراً تكلم في الغزل إلا وذكر الوشم.. كل حسب وجهة نظره، ويتضح لنا عند تتبع واستقراء أبيات الشعراء أن نظرتهم للوشم لم تكن قاصرة، بل كانت من عدة زوايا، فنجد بعضهم تكلم عن جمال خط الوشم، وذلك القلم الذي كتب به، وكأنه قلم «فيكتور هوغو» الذي يعتقد الطفل الأديب «دانيال سيمبيري» أنه قادر على كتابة كل شيء من رواية إلى موسوعة ورسائل ليست في حاجة إلى ساع بريد لتصل وجهتها .

بل يعتبر الشاعر «عبدالله البويف الدينالي» أن خط الوشم على وجه المرأة في جماله ووضوحه كخط القرآن الكريم على اللوح، فيقول في إحدى قصائده:

((الفم تحلف ما تلمط بيه .. الوشمة كي ختمة ياسين..)).

ونجد شعراء آخرين تكلموا عن أماكن وجود النقش سواءً في اليد أو الجبهة أو أسفل الوجه ،كما سيأتي في الأبيات القادمة، بينما نجد شعراء آخرين تكلموا عن شكل الوشم فتحدث بعضهم عند عدد الدوائر كقول الحلا في:

((لُها عين سودة تقهرك شَبّا .. وين ما اتبهت فيك ما تُحملها .

وفيها ثلاث اصفار في جبهتّا .. للنار ما يربح اللي نفلها.))

ونجد شعراء آخرين تكلموا عن لون الوشم كقول «هاشم بو الخطابية» :

((ياما شقينا به كحيل هدوبه .. اواجد جرينا في معاني صوبه..اللي شفته قيرة عسل مصبوبه .. وفوقه نفايل سود بالنخضاره..)).

وهذا اللون المذكور (الأخضر المائل للسواد) من أفضل الألوان، وقد أخبرنا الله تعالى بأنه لون الجنة.. وذلك في قوله سبحانه { مدهامتان }، ونجد شعراء آخرين تكلموا عن الوشم بصورة أكثر شمولاً كقول «حسن لقطع»:

((وتحوجيبها تحت الجبين نظافة .. وشناف عين قرقاضة سيور الكفه.. اللي بها تصدع غايشه بعفافه .. وهالنقش بالنيله اللي راضفها..)).

عندما ننظر إلى الوشم في الشعر الشعبي نجد أن الشعراء قد احتفوا به وبالغوا في مدحه، وهذا يدل على أنه لا يقل مكانةً عن الحلي.. فهو يزيد المرأة جمالاً وحسناً، ولا أَدَلَّ على ذلك من احتمال ألم الجروح في سبيله، نعم إنه يزيد المرأة حسنا وجمالا .. هكذا اعتبره جميع الشعراء.. ولكن ثمة شاعر معاصر له نظرة خاصة يرى أنه يشوه المرأة ! فيقول في وصف محبوبته:

((و قير ما اشوّه من عمل وشامه .. و في ارهاف حاجرهن بدع صوّاره))

فكأنه يعتبر الوشم مشوها للمرأة، ولكنه يقول إنه لم يشوه محبوبته لكثرة جمالها، ونجد صورة أكثر تفصيلا عند الشاعر «عبدالسلام الحر» في قوله :

((قديمة وما زالت تقول جديدة .. نار سمح دقات الوشام علي ايده)).

إذ يدل بيته بدلالة الالتزام على أن الوشم منه حسن ومنه غير ذلك».

الأسطورة تؤرخ للوشم :

تتعدد الوشوم بتعدد الأساطير، كما شاركنا الحديث الكاتب «أحمد التهامي» الذي يقول:

ـ في ظني أن التفريق بين الوشم والوسم تاريخياً لم يكن ممكناً، لأن سمة القبيلة كانت ترسم على كتف الإنسان كما على صوف الحيوان، إذ عدت بديلاً عن البطاقة الشخصية في قديم الزمن، أما حديثاً فلم تعد تلك الطريقة للتعريف بالهوية ضرورية فغدا الوشم معبراً عن أحاسيس معينة كوظيفةٍ جماليةٍ فنيةٍ في الماضي، وكانت هذه الوظيفة موجودة أيضاً لكنها مثقلةً بأعباءٍ أخرى توازيها وتفرض عليها، وأعتقد أن كل وشمٍ مرتبطٍ بمرجعيات القبيلة ونظرتها لنفسها والقيم الاجتماعية التي تعطيها الأولوية كالكرم أو الشجاعة أو القتال وما شابه، ولذلك تتعدد الوشوم بتعدد الأساطير، وتطرق الوشوم نفس الأماكن التي تخلدها الأسطورة وعلى سبيل المثال نجد السيف مرسوماً على كتف رجل يرمز لاحترام المجموعة الأثنية للقتال كقيمة منفصلة ومعبرة في آن، وربما استخدم بمجرد الإيحاء، كالشعر ينتشر فينشر أخباراً عن مجموعة إثنية تفضل أن تحيط نفسها بستارٍ حامٍ من الكلمات، وقد استمدت الوشوم رمزيتها من الحياة اليومية للمجموعة الأثنية بما

برقة القديمة واقتصادها

إليونورا قسبارنى
جامعة «لاسبيسيا «روما

عملة إغريقية تحمل نقش نبات السلفيوم النادر الذي كان يتم إستيراده من ليبيا

ترجمة: سعاد خليل

امتازت برقة في القدم بحياة مليئة بالإحداث العظيمة ،فضلاً عن الغنى والازدهار ،باشتراكها مع سوسة وطلميثة وتوكرة ويوسبريدس ...حيث كانت مدينة برقة مركز نشاطات ثقافية وفنية ودينية واقتصادية كبيرة.

أما البحر الأبيض المتوسط...هذا البحر الذي تطل على شواطئه كلا من أثينا والإسكندرية ولبتسمانيا وقرطاج وروما- والمراكز المدينة لبرقة نفسها –في الماضي كما هو الحال اليوم خلق اتصال وترابط في المصالح والأقدار.

فدراسة العالم عن طريق علم الآثار تعطينا

فرصة للإدراك بعمق قصص المجتمعات التي ازدهرت وخلدّت مجتمعات حول ضيفاف هذا البحر وهذا بلا شك يؤكد الثقافة المعيقة التي تربطنا نحن أحفاد هذا الماضي.

إن مدينة برقة بالقرب من شحات الحالية ،تم إنشائها من قبل مستعمرين جاءوا من جزيرة تيرة«Thera» والتي ازدهر بها أيضاً مجتمع نشأ من مدينة سبارتا«Sparta» القريبة...والمصادر التاريخية التي تورثنا الإحداث والمزخرفة بالأساطير ،تشير إلى نشأة المدينة سنة 631 قبل الميلاد،حيث تأثر اختيار الموقع بصفاته الجيوفيزيائية وطقسه المتميز ،من أراضي خصبة و وفرة في تساقط الأمطار والطقس المعتدل ،مما جعل من الجبل الأخضر منطقة مناسبة للاستقرار .

في حديث المؤرخ الإغريقي «Erodoto» عن القدرات الزراعية الضخمة منطقة برقة أوضح عملية نضج ثمار الأرض المتعلقة بثلاث أحزمة بالمنطقة،حيث توجد ثلاث مراحل للنضج بدءاً بالساحل ثم الوسيطة (المنطقة الوسطى) وانتهاء بالمرتفعات ،لضمان الإنتاج المتصل على طول العام.

والمنطقة حسب خصائصها الفيزيائية كانت محط اهتمام لثقافات مختلفة ،في الساحل –وعلى وجه الخصوص المنطقة القريبة من سوسة –هي منطقة قاحلة ذات طبقات أرضية رقيقة وفقيرة ،حيث تغلب عليها مساحات لأشجار (شبه صحراوية /شوكية/ ناشفة) كانت تخدم رعي القطعان الصغيرة من المواشي ،وكأخشاب (حطب)التي لم تستغل بطريقة منظمة من أجل استقرار ثابت للمنطقة.

أما المنطقة الوسطى على خلاف ذلك ،فهي تتميز بأراضي جيدة ..في الجهة الجنوبية منها على وجه الخصوص بالقرب من المنحدرات وحتى المرتفعات سمك طبقة الأرض فيها يصل حوالي إلى 80-100 سم ،والمنطقة محمية من الرياح الجنوبية الحارة عن طريق مرتفعات الجبل.

كانت ثقافة البستان آنذاك هي الشائعة ،من بينها من تميز بالرقة (وهي زراعة الورد البلدي).واشتهرت في القدم كثيراً بالروائح المتحصل عليها من زهور برقة ،ولكن على وجه الخصوص –ازدهرت بها أشجار مثمرة مثل التين واللوز والزيتون والعنب ،وهذه الاخيرة تم على الأرجح إدخالها على الأراضي الليبية عن طريق مصر وذلك بالتأكيد قبل مجيء المستعمرين الإغريق.

من الاسم الإغريقي «Ampelos» جاءت الأصول القديمة « Ampelos» والتي تتمثل في الحي الحديث للحمامة ،على الساحل الشرقي لبرقة والممتدة على طول المنطقة المحيطة ،ومن أجل سميت«Ampelitide».

وبالمقارنة مع الشريطين الآخرين للمنطقة التي قسمنا بها الإقليم ،فان المرتفعات جنوب برقة تتقدم بامتيازات أخرى مختلفة ،مثل الأراضي الأكثر غنى ،والطقس الرطب بنسبة أكبر ،مما أدى إلى تطوير وانتشار لثقافة زراعة الحبوب ،خصوصاً القمح الصلب والشعير .

ومن مميزات هذه المناطق المراعي الخصبة ،وتربية المواشي والخيول التي اشتهرت بها المنطقة حيث كانت خيولها معروفة ومتميزة في القدم بجمالها وسرعتها.

ومن هنا نستطيع أن نؤكد إن إجمالي منطقة برقة القديمة ،كانت منظمة تنظيماً جيداً من ناحية الاستغلال الزراعي.

وجد اكتمال ملحوظ للإنتاج مابين الأحزمة الثلاث الكبيرة وداخل كل حزام على حدة،وهذا يسبب التبادل مابين الوديان والمرتفعات في كل من المناطق المدروسة ...هذا التكامل ليس إلا انعكاسا لعلم زراعي واقتصادي واعي يبرر السمعة المكتسبة في القدم لسكان برقة في مجال الإنتاج الزراعي...وبالإضافة إلى

الزراعة هناك مصادر أخرى ارتكز عليها اقتصاد هذه المحافظة من بينها ما ذكرت سابقاً(الرعي).وكانت تمارس هذه الحرفة في الأغلب من رجال القبائل البدوية التي تعيش بشكل ترحالي مع اتزان ضروري من أجل المحافظة على المساحات المخصصة للاستغلال الزراعي. ومن الملاحظ رجوهم المنتظم على نفس الأراضي التي لهم الحق بالرعي عليها والتي تخصص أيضاً للاستخدام الزراعي في بعض الأحيان ...كانوا يستطيعون استخدام الوديان كمراعي كان بعد حصادها والمرتفعات (وذلك على طول وجود الأعشاب بها).وهذا الشكل من الرعي كان يكتمل عن طريق الترحال نحو الجنوب من شهر نوفمبر إلى شهر مارس ونحو الشمال من مايو إلى أكتوبر .

المنطقة الصحراوية جنوب برقة امتازت بالطابع البدوي،حيث كانت الشعوب تنتقل من واحة أوجلة إلى سواحل سرت الكبرى ،وكانت تجمع بين الرعي والنشاطات الزراعية في الواحات والمناطق الشمالية الغربية من الساحل ...كان من مهام الشعب الإغريقي تقسيم المساحات ،حيث جعل نشاطات الشعوب البدوية الرحالة والشعوب المستقرة من ناحية الزراعة والرعي ليست فقط متلائمة ومنسجمة مع بعضها البعض. وبلا شك التطور التاريخي شاهد عدة فترات زمنية طالت فيها حالة الجفاف ،مما أدى إلى تغيرات عديدة وخلق حالة من التوتر وعدم الاستقرار ،والتي كان من الممكن أن تنتج هجمات ضد المدن ،وتحولت الأرياف إلى معسكرات تصدى الضغوط الاتية من شعوب الدواخل ...والعلاقات مع العناصر البدوية – كماهو طبيعي –تشغل حيز كبير من الاهتمام عند المسيطر الأساسي بالمنطقة في كونها تشكل مصدر غني أولاً ثم الرومان يخوضون علاقات اقتصادية مع الليبيون ،وهي تجارة السلفيوم.

ولكن ماهي المميزات التي جعلت هذه النبتة مطلوبة ظ.استخدمت في القدم مجالين :مجال الطب ومجل الطبخ .فخصائصها الصحية مشار إليها أكثر من مرة في التقارير الطبية القديمة كما انه من الشائع استخدامها كتوابل على شكل عصارة،أو على شكل مرق أو بطحن الجذور .وبهذا الخصوص فالمصدر الأكثر عراقة متمثل في قائمة لكيفية إعداد المأكولات الرومانية المؤلفة من قبل خبير فن الطبخ الروماني«Apicio» في كثير من الوصفات التي تظهر استعمالات النبتة فيها ...ويبدو أن الصنف الموجود في برقة يتميز بكونه أكثر قيمة من الصنف الفارسي.

كما نعلم أيضاً أن السليفوم كان مع الوقت أكثر ندرة حتى انه أصبح يقارب على الانقراض في العهد الروماني .ورغم انقراض السليفوم بقى هذا النبات رمز ألمدينة برقة،بل لمحافظة برقة بالكامل .هكذا كما كان عليه الحال أيضاً في أوج الفترة التجارية،حيث كان مرسوماً على العملة ومجسداً في الأعمال الفنية.

تحدثت في أكثر من مرة عن التبادلات والمعاملات التجارية والعناصر الأساسية للاقتصاد المزدهر والنشط ،كما كان الحال ببرقه القديمة ...الآن أود أن أسلط الضوء على العناصر الأساسية للاتصال داخل المنطقة ،وهي شبكة الطرق.

وجدت عدة شريانية تضمن ترابط المناطق المحيطة بعضها البعض بقلب المحافظة من مدينة برقة... وهناك شبكة طرق اصغر تشابك داخل المحافظة ،وتخدم ترابط المساحات الزراعية فيما بينها .والمنطقة تقدم حتى الآن عدة آثار لهذه الطرق والتي يمكن التعرف عليها بسهولة عن طريق الاحافير التي تركتها العربات على جانبيها ،متخللة المرتفعات وسواحل الوديان.

الشهادات الأدبية التي توثق وجود عدة طرق

معبد زيوس في قورينى (شحات)

للقوافل داخل المحافظة عديدة جداً ،والتي كانت تسير سواء في الاتجاه من الشمال إلى الجنوب أومن الشرق إلى الغرب مستغلة وجود شبكة كثيفة من الواحات والواحات الرئيسة كانت واحة «سوا»و واحة«أوجلة « حيث اعتبرت بوابات نحو قلب القارة الأفريقية ،كما كانت تمثل الشرايين الرئيسية للتبادل التجاري بين مدن ساحل البحر المتوسط بدءاً ببرقة وأفريقيا السوداء ...والبحر الأبيض المتوسط أيضاً شكل طرق اتصال أساسي سواء للرحالات ذات المدى القصير أو واسعة النطاق.

من وجهة نظر اقتصادية ،فإن قفزة التطور التي حدثت في تلك السنوات كانت مرتبطة بدخول برقة لمنظومة عالمية ضخمة متمثلة في إمبراطورية روما ،حيث كانت في تلك الفترة عبارة عن المحافظات متفرقة ومختلفة تنتمي إلى نظام موحد ،وفي كل واحدة منها كان يتم الإنتاج والتبادل بتنظيم مرتب وعقلاني ،من أجل أن توفر كل جهة أقصى مشاركة ممكنة للوصول إلى تطور شامل وعام...كان يعني هذا زيادة الموارد المتخصصة التي توفرها منطقة وخلق شبكة اتصال تسهل عملية النقل للأشخاص والبضائع.

في عهد إمبراطورية الرومانية وصلت إلى أقصى تطور لها ،كان يوجد بها حوالي مليون نسمة ،مما يتطلب إمدادات مستمرة للبضائع والتموين...القوت الأساسي للشعوب كان متمثلاً في القمح ،ولإشباع حاجتهم فقط من العاصمة كان يتم استيراد حوالي420.000 طن في السنة ،وكان ثلث القيمة مصدرها مصر.

النقل كان مؤمنا عن طريق بواخر نقل كبيرة حيث كانت الواحدة منها حوالي 350 طن وكانت منتجات أخرى ذات نسبة استيراد كبيرة مثل النبيذ والزيت والمنتجات المستخرجة من خدمة الأسماك.

واستقر كثير من التجار بمحافظة برقة منذ مجيء الرومان إليها،وتلك الفترة شاهدت ازدياد في العلاقات التجارية مع المناطق الشرقية سواء من ناحية الاستيراد أو التصدير.

من أجل هذا تبين لنا أهمية دراسة حالات الإبحار في برقة ،فلابد من اعتبار أن في أشهر الصيفية تهب على المنطقة رياح آتية من الغرب والشمال الغربي ،والتي مع التيارات البسيطة الآتية من الجهات الشرقية ،ودائما تفضل أو تشجع الابحار في مسارات نحو المناطق الشرقية للبحر المتوسط .وحسب ماورد في المصادر القديمة ،فإن المدة التي

تصلها رحلة الابحار من كريت «Creta» إلى سوسة«Apolonia» هي يومان.
وعلى عكس الإبحار شرقاً،فنحو الغرب –أي في اتجاه موانٍ ترى بوليس«Tripolitania» أو نحو قرطاج –كان الإبحار أكثر صعوبة ،والمتمثل في مواجهة الصعاب عند عبور خليج سرت .
هكذا نستطيع أدراك معنى» اقتراب « برقة من العالم الإغريقي والشرق بصفة عامة ،ومعنى»ابتعاد» باقي الشواطئ الإفريقية نحو الغرب يرجع إلى الظواهر الثقافية ،وتجد تبريرها في العناصر الجيوفزيائية كما يحدث في الغالب .
في تاريخ برقة كانت العلاقات بحضارة مصر والمدن الشرقية هي الأكثر ممارسة ،خصوصاً من الناحية التجارية ،كما استمرت أيضاً هذه العلاقات بعد دخول المحافظة ضمن الإمبراطورية الرومانية ،إن المنتجات الداخلة والخارجة إليها على الرغم من توقعات وصولها روما وبعض موانئ المدن الغربية للبحر المتوسط فهي تتبع مسارات شرقية والتي خلالها تتعرض حمولة السفن لعدة تغيرات في إضافية لشراء وبيع البضائع.

نستطيع أن نؤكد الطرق التجارية القديمة التي وطأت برقة كان لها محطات أساسية كاليونان – وبالأخص بيلوبوميزوا « «Pelopnneso – وكريت « » ومصر ،كما كانت رودي « «Rodi وديلوا«Delo» مراكز مهمة للتبادل التجاري. من القنوات المفضلة هي تلك التي تمر عبر كريت«Creta» ،فالعلاقات مع كريت كانت دائماً قوية ،سواء بصفة ودية أو بصفة رسمية إدارية ،وخير شاهد على قوة العلاقات تلك هي العديد من التسميات لمراكز كريت«Creta»–والتي نجدها تسمى بأسماء شخصيات من برقة .
في مصر أيضاً –مثل كريت«Creta» –كان من الضروري وجود جماعة من برقة بسبب العلاقات التجارية .وفعلاً كانت الاتصالات بالإسكندرية دائماً مفضلة ،خصوصاً خلال العهد الروماني ،حيث أصبحت الإسكندرية إحدى أهم الموانٍ النشطة لكامل البحر المتوسط ،وهو الميناء الذي من خلاله كانت تنطلق الكميات الضخمة من القمح الذي كانت توفره مصر إلى روما.
مع أن حجم التهريب بقى دائماً أقل مقارنة بالضواحي الأخرى والتي كانت تنتج حاجاتها الاستهلاكية الأولى ،وجدت أيضاً بعض منتجات برقة سوقها في روما،وجدت أخبار عن عمليات معتدلة لتصدير القمح والزيت والنبيذ والسليفوم (طبعاً إلى أن كان العثور على النبتة ممكن).القمح والسليفوم كانت المنتجات الأكثر طلباً،يتبعها الزيت والنبيذ والخيول .وكانت منتجات أخرى للتصدير كالجود والتمور الآتية من أوجلة ...وبالأخص فان عمليات تصدير الحبوب كانت دائماً سبب فخر لبرقة.
أحد الأعمدة الحجرية التي وجدت في مدينة ذكر عليها أن سنة327-328 قبل الميلاد استطاعت برقة تمويل قمح في فترة قحط لعدد43 مدينة يونانية ،وهذه المعلومة فعلاً مدهشة حيث استطاعت تأمين أجمالي إنتاج يقدر بحوالي 805000 مديمنيوا « « Medimnoi (أي 48 مليون كجم)،من هنا نستطيع أن نفهم أن لبرقة القدرة على إطعام حوالي 240000نسمة في السنة وتوزيع مثل هذه الكمية تتطلب حوالي480 رحلة ،بمتوسط حمولة 100طن للرحلة ،ونستطيع إذاً أن ندرك ضخامة الرحلات البحرية وازدحام مساراتها في تلك المناطق والتي كانت تقصد موانيها الأساسية.
بالانتقال إلى الحقبة الرومانية ،نعلم أن بوبايوا«Pompeo» –أحد الشخصيات ذات النفوذ في روما في القرن الأول قبل الميلاد–

كان يقدم القمح الآتي من برقة كتموين من أجل جيشه خلال الحروب التي كان يتزعمها .وفي العهد الامبراطورية قمح برقة كان يصل إلى عدة مناطق في إيطاليا ،خصوصاً المناطق الجنوبية منها ،في موانئ بوزوالي«Pozzuoli» وكابوا«Capua»،ولكن وصل أيضاً إلى الشواطئ الشمالية شرقية لشبه الجزيرة الايطالية ،في ميناء اكويلا«Aquileia» ،وبهذا الخصوص وصلتنا أخبار عن عمليات استيراد من برقة بحوالي 6000 بالا (balle) من القمح و300 ميزورا (misura) مقياس من الزيت.
السليفوم منذ بداية تاريخ برقة ،وجد سوق كبير في أثينا و اليونان كما في الأزمنة الأولى للسيطرة الرومانية –قبل أن تنقرض النبتة –حيث كان يشكل المنتج الاكثر تصديراً وانتشاراً.
ونعلم أن سنة93 قبل الميلاد ،صدّرت برقة حوالي 30(ليبره) لروما ،وان بعد حوالي عدة عقود وجد محفوظاً في خزينة الدولة الرومانية ،ليس فقط الذهب والفضة بل أيضاً كمية من السليفوم التي تقدر بحوالي 15000(ليبره).وفي العهد الذي يليه أصبحت النبتة نادرة حيث بعثت إحداها كهدية قيمة للإمبراطور نيروني«Nerone».
الكثافة النباتية للضواحي تعرضت بجدية للخطر في السنوات 115-116 ميلادي ،حيث كانت برقة في تلك الحقبة إحدى مراكز الإمبراطورية التي وجدت بها كثافة (يهودية) «Giudaica» مقيمة ،أحدثت تمرد عنيف ضد الحكم السائد في المدينة ،وفي الأرياف ضربت بالمجازر وعمليات التخريب... بالطبع تأثرت الحياة الاقتصادية للمنطقة بقوة كردة فعل لهذه الأحداث .
والتحليل التاريخي لبرقة في الحقبة الرومانية المتأخرة وجد أن الجوداي (اليهود)

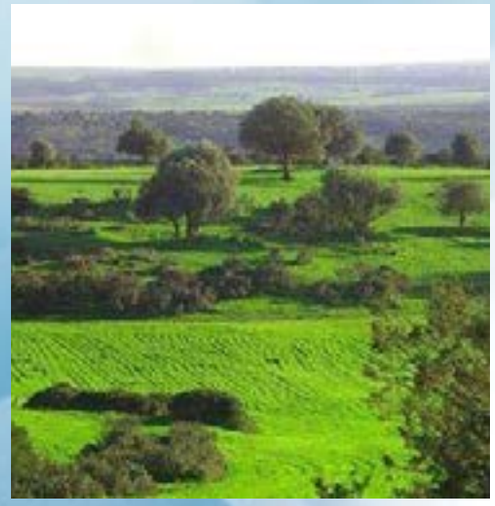

بالارتباط مع عوامل طبيعية أخرى مثل الزلازل والجذب أو القحط ،كانت الضربة القاضية للتطور بالمنطقة ،من بعد تلك اللحظة استمرت عملية التدهور دون توقف.
في القرون التي لحقت تم توضيح على وجه الخصوص المشاكل والصعاب وتم إعطاء صورة تمثل مجتمع مهمش ومتدهور والذي إذا ماقورن بروائع القرون الماضية يزيد من البؤس والظلام الذي وصلت إليه.
سلطت إيضاحات أكثر حداثة الضوء بصورة اكبر على عناصر يوية مازالت موجودة ،وتوصلت إلى انه بالرغم من التغير في الظروف التاريخية والسياسية ،فالمنطقة استمرت في حقبة صغر الإمبراطورية وإيجاد ازدهار داخلي،كما كان لها دور على الساحة الاقتصادية الخارجية.
يوفر لنا الأسقف سينازيو «Sinesio» على وجه الخصوص الانفتاح على مجتمع برقة ،فبعد التحليل الايجابي لتصوره ،نستطيع أن نستخرج صورة حيوية ونشطة .الثقافات التقليدية للقمح والزيتون وأشجار العنب والأشجار المثمرة استمرت في الازدهار ،كذلك تربية المواشي –التي على عكس – استغنت في هذه الحقبة بعد إدخال الجمال إليها .طرق الاتصال كانت مستمرة النشاط

داخل وخارج المحافظة .ومع ذلك ،حقيقة الاكتفاء الذاتي لبرقة لم تحدد الاحتياجات لدفعات كبيرة من البضائع سواء داخلة أو خارجة منها. هذه علامة للاختلاف ،ولكن ليس بالضرورة ان تكون ضخامة الانتقال للكثافة السكانية من المدن إلى الضواحي علامة افتقار ...تحولت في حالات عديدة المزارع إلى مراكز صغيرة تأوي جماعات من الأشخاص كما تستطيع إنتاج مايمكن بيعه في الأسواق الساحل ...وتدخلت الزلازل لتهديد هذا الاتزان ،حيث دونت تاريخياً أفعالها المدمرة كما نجد تأكيداً لذلك من خلال التحاليل الجيولوجية.

من الممكن أن المنطقة تأثرت بزلزال – رغم وجود أخبار لدينا إنه دمر مدينة كريت«Creta» سنة 251 بعد الميلاد-ولكن تم تأكيد تعرض برقة إلى زلزال سنة262 بعد الميلاد ،وبالأخص برنيتشى(برنيق) وبالتحديد الحي السكني (سيدي خريبيش) اثبت انه تم إخلائه في منتصف القرن الثالث بعد الميلاد ،وقد ترجع أسباب إزالة المباني إلى سقوطها قبل تلك الحادثة.

حفريات علم الآثار في عدة مناطق من حوض البحر المتوسط والمتمثلة في المركز الشرقي منه تشهد زلزال أخر ينسب إلى سنة306 بعد الميلاد ،ونقصت الأدلة التي تؤكد تأثر برقة بهذه الحادثة الأخيرة ولكن من الممكن أن يكون قد شملها وذلك لأنه تم تأكيدها بالمناطق الموجودة بجوارها من الشرق والغرب.

بسبب زلزال عنيف سنة365 بعد الميلاد تأكدت وجود خسائر عظيمة .مما أدى إلى دمار العديد من المدن وأعمالها المعمارية والفنية العظيمة ،في الوقت الذي أصبحت فيه المباني بعد ذلك أكثر فقراً ،والحركة التخطيطية أكثر تعقيداً.

ومن العوامل التي أثرت في افتقار المنطقة هو التغير الملحوظ للطقس ،فان مستوى التساقط السنوي للأمطار تأثر بانحناء بسيط بدءاً من القرن الأول الميلادي وصولاً إلى جفاف الطقس.ومن الظاهر إنها شاهدت تقدماً في القرون التالية ،حيث لوحظ أن حالة الطقس فقدت نع الوقت امتيازاتها السابقة ،ففي القرن الثالث ميلادياً والأول مرة كتب المؤرخون عن برقة وذكروها كمنطقة جافة ،خلافاً مع ذكر في العهود السابقة ،والتي دائماً تتحدث عن بلد مزدهر ومميز من ناحية الطقس والمردود الزراعي .وتأثير ظاهرة الجفاف لم تقتصر على المناطق المحلية فحسب ،بل شملت مساحات أكبر ووصلت إلى الاراضي المصرية و(بصفة عامة) كل المساحات الواقعة شرق حوض البحر المتوسط.

في القرن الذي يليه ساءت أيضاً الحالة البيئية بصورة ملحوظة جداً بالمناطق الجنوبية لحوض سرت ،كما خلت المنطقة من السكان وذلك بسبب ندرة المياه.

في هذه الظروف الصعبة دخلت الجيوش العربية بقيادة «عمرو بن العاص» ،والتي دخلت مصر وفتحت الاسكندرية سنة640 م، وتقدمت السنة التي تليها نحو الغرب وفتحت برقة أيضاً.

والقوة الجديدة لم تغير جذريا حالة وشكل المحافظة ،في أثناء تم الفصل الحقيقي عن الماضي فقط في القرن 11م مع الاستعمار بني هلال.

إن استقرار الحضارات الأساسية بمنطقة تتوسط البحر الأبيض المتوسط ،يمثل حتى يومنا هذا غنى لبرقة لايقدر بثمن .

وزيارة هذه المناطق والتعرف عليها يعتبر تصفح لكتاب تاريخي ضخم.

بقلم:- إليونورا قسبارنى
Eleonora Gasparini
جامعة -لاسبيسيا- روما
Universita sapienza – Roma

بحر لهذا الحب

يأخُذُني نَحْوَكِ هذا الدَّربْ
مِنْ لهفتِهِ، يتَّسعُ القلبْ
يملأُ كلَّ فضاءِ الصَّدرْ
يَكْبُرُ، يصبحُ مثلَ البحرْ
كي يَحْمِلَ هذا الحُبْ

يُخرجُني فجرُكِ مِنْ يأْسي
يَسحبُني يومُكِ مِنْ أَمسي
أَبدأُ ثانيةً أَيامي
فأعيشُ طفولةَ أَحلامي
وأُذَوِّبُ في كأْسِكِ نَفْسي

عيناكِ سمائي، مِرآتي
أتصالحُ فيها معَ ذاتي
فيُشَرِّعُ قلبي أبوابَهْ
ويَداكِ لعينيَّ سَحابةْ
تُمْطِرُني لربيعٍ آتِ

يا امرأةً ملكتْ شطآني
ولآلِئَ بحري الظمآنِ
قد أصبحَ قلبي لكِ عُنوانْ
أنتظرُ الدَّعوةَ منكِ الآنْ
كي يصبحَ قلبُكِ عُنواني

إبراهيم عواودة-
شاعر ودبلوماسي اردني

الدكتور موسى أبومحلولة :
(اوراق الغربة والحنين) ..

طفح فيض المشاعر وانفجار مخزون الكلمات وانسكاب حبر القلم على أوراق الغربة ..

هاجر الطيار

حوار مع مؤلف كتاب أوراق الغربة والحنين الدكتور موسى ابومحلولة

صدر مؤخرا كتاب اوراق الغربة والحنين للكاتب الدكتور موسى ابومحلولة وهو أول إصدار أدبي له. الكتاب من إصدارات مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع في جمهورية مصر العربية وقال شارك فور صدوره في معرض القاهرة الدولي للكتاب لعام 2018ثم في معرض تونس الدولي للكتاب في أبريل الماضي وقد لاقى قبولا من القراء ورواجا في المكتبات المصرية إلا أن وصوله إلى السوق الليبي قد تأخر بعض الوقت لأسباب لوجستية تم التغلب عليها مؤخرا وبدأ الكتاب بحمد الله في الوصول الى مكتبات طرابلس على أمل أن يتم توزيعه على نطاق أوسع في جميع المدن الليبية أجرينا هذا اللقاء مع الدكتور موسى من مكان إقامته في مدينة لندن ودار الحديث حول كتابه أوراق الغربة والحنين والغربة وهمومها وكان على النحو التالي

س: دكتور من انت؟

ج: انا موسى عبدالسلام ابومحلولة مواطن ليبي أحمل عشقا لا ينتهي لبلدي ليبيا، وطبيب جراح أقيم واعمل حاليا في العاصمة البريطانية لندن ولدت في مدينة ام الجرسان القريبة من مدينة يفرن في اعالي الجبل الغربي ودرست بكلية الطب البشري بجامعة طرابلس وتخرجت منها في عام 1984 م باشرت بعدها العمل في مستشفيات طرابلس المركزي والخضراء ثم مستشفى صلاح الدين وفي مطلع التسعينات حزمت امتعتي متوجها الى مدينة جلاسجو الاسكتلندية لإستكمال دراستي العليا وفي صقيع غربتي هناك نلت درجة الزمالة البريطانية في الجراحة وانتقلت بعدها إلى مقاطعة يوركشاير بوسط إنجلترا حيث عملت هناك لمدة سنتين وتحصلت على درجة الماجستير في الجراحة من جامعة لندن التي أعجبني دفئها النسبي وتنوع وثراء ثقافات ولغات أهلها والجاليات المقيمة بها وثراء الحياة الثقافية فيها فانتقلت إليها في أواخر التسعينات واقمت بها وعملت بمستشفياتها حتى اليوم.

س: دكتور قبل أن نتحدث عن كتابك الجديد وهو موضوع حديثنا هل تطلعنا ولو بشكل مختصر عن بداياتك مع الكتابة وحكايتك معها؟

ج: نعم سيدتي رغم عشقي للقراءة ومحاولاتي المبكرة للكتابة منذ أيام المدرسة الإعدادية لا أعتبر نفسي اليوم كاتبا محترفا بل هاويا وعاشقا للكتابة وأعتقد أنه في داخل كل منا كتاب أو اكثر يمكن أن يكتبه بطريقته الخاصة وبلغته الخاصة اذا ما قرر أن يخوض تجربة الكتابة وتهيأت له الظروف المواتية لذلك....

اما أنا فقد كنت ايام المدرسة أقرأ كل ما تقع عليه عيناي وإن كان ذلك بشكل عشوائي تمليه طبيعة الإمكانيات المتاحة في ذلك الزمن لكن تجربة الكتابة لم تحدث إلا في بدايات مرحلة الدراسة الجامعية في شكل مقالات وخواطر شعرية ونثرية لكن الجو العام في ذلك الزمان كان خانقا وغير مشجع على الإبداع ففضلت التركيز على دراستي التخصصية رغم بعض المبادرات المحدودة والمساهمات في مناشط الكلية الإعلامية والثقافية الطلابية

والآن هل تحدثنا عن الغربة وعن كتابك أوراق الغربةوالحنين؟

الوطن مكانه دائما في القلب وكلما إبتعد عنه الانسان واغترب زادت جذوة الحنين الى مرابع الطفولة وملاعب الشباب اشتعالا فكلما وقعت العين على خبر في جريدة صباح أو على شريط إخباري على شاشة تلفزية أو تناهى إلى الأذن حديث عن ليبيا أو جاء منها عبر امواج الأثير او وسائط التواصل الاجتماعي قفز القلب وتجيشت المشاعر وتأهب الفكر والعقل ...

هذه هي حال المغترب في الظروف العادية لا يشغله عن وطنه عمل شاق وسعي متواصل لكسب الرزق ولا تلهيه عن تذكر الأحبة والاصحاب والاقارب والاتراب مظاهر الحياة العصرية في ديار الغربة القصية بإيقاعها المتسارع المجنون ...

أما إذا ألمّ بالوطن طارىء أو عصف به "ربيع عربي" كما حدث في عام 2011 فإن الأمر يكون مختلفا والالم مضاعفا والترقب متواصلا والهلع مشروعا والحنين جارفا ولا يعود يكفي تلقف الاخبار وحبس المشاعر ... وهذا ما حدث لي ولكل مغترب في تلك الأيام العصيبة الحبلى بالاحداث المتسارعة والمسكونة بالقلق والتوتر والمعاناة فكان ان طفح فيض المشاعر وانفجر مخزون الكلمات وانسكب حبر القلم على أوراق الغربة ..

وطني في قلبي وحقيبتي على كتفي، أسافر وأغترب اشقى وأتعب أكدّ وأجتهد أقرأ وأكتب تتسع امامي أرض اللّه الواسعة واحيانا بما رحبت تضيق، أمضي وحيدا فيكون طيفك هو الرفيق، تتساقط أوراق غربتي فيزهر في أعلماقي ربيع عشقك يا وطني فاكتب لك أوراق حنيني

كتاب أوراق الغربة والحنين هو جهد متواضع ونتاج إبداعي عفوي لم اكن أخطط له لكنه جاء في وقته وكان معبرا عن بعض ما كنت أشعر به في تلك الظروف وقد ظمنّت فيه ايضا بعض الذكريات القديمة التي قفزت إلى الذاكرة وحشرت نفسها بشكل أو باخر بين صفحات الكتاب التي قسمتها إلى قسمين اوارق للغربة واوراق للحنين وها انا أضعها بين يدي اعزائي وأصدقائي القراء بكل تواضع ومحبة راجيا أن تروق لهم كلماتي وتنال رضاهم ولا تكون ثقيلة عليهم حزمة اوراقي.

الكتاب يقع في 296صفحة من القطع المتوسط ويحتوي مقالات متنوعة وشيقة عن شئون عديدة ورحلات بعيدة وقريبة ومشاهدات فريدة وبعض التلميحات السياسية وإلاشعار الوطنية والقضايا المجتمعية كل ذلك في قالب خفيف وموجز لا يثقل على القاريء ولا يبعث على السأم والملل.

س: كيف ولدت فكرة تأليف كتاب اوراق الغربة والحنين وما الذي دفعك لكتابته ؟

ج: الولادة كانت طبيعة جدا ولم تكن قيصرية على الإطلاق فقد كنت اكتب أفكاري وخواطري وملاحظاتي ومشاهداتي على هاتفي النقال أو حاسوبي المحمول وأتابع كل ما يدور في ارض الوطن وأرصده من خلال وسائل الإعلام واكتب عنه في حينه وكنت انشر بعض ما اكتب على صفحات التواصل الاجتماعي وبعض المواقع والصحف الإلكترونية وكانت تروق لاصدقائي ومتابعي هذه الصفحات من القراء الكرام وذات صباح افقت من نومي وكنت أحلق ذقني حينما لمعت فكرة الكتاب بل وعنوانه ايضا في ذهني فباشرت في تجميع وتصنيف وتبويب ما توفر عندي من مادة إبداعية مع مايلزم من إضافات وتعديلات وكان ميلاد هذا الكتاب .

س: وكيف إخترت المواضيع أو المقالات التي أوردتها في الكتاب وهل واجهتك بعض الصعوبات في مرحلة إعداد الكتاب للنشر؟

ج: إختيار المواضيع لم يكن مشكلة فقد كنت اعرف بالضبط المواضيع التي قد لا تصلح للنشر في كتاب وقمت بحذفها وعوضتها بكتابة المزيد حتى يحتفظ الكتاب بحجمه وقيمته لكن الصعوبه كانت تقنية وقد تولى الناشر حلها في مرحلة لاحقة بحمد اللّه.

س: هل هناك مقالات أو محتوى معين ورد في الكتاب له أفضلية عندك او موقع خاص في نفسك؟

ج: قد يكون هذا صحيحا بالنسبة لي كقاريء وكل قاريء سيميل الى موضوع معين قد يروق له اكثر من غيره وهذا طبيعي جدا ولكن ليس ككاتب للكتاب ففي هذه الحالة كل المواضيع تحتاج مني إلى العناية والاهتمام ذاته بما يخدم مصلحة الكتاب ككل.

س: هل كانت لك كتابات أخرى منشورة؟

ج: هذا هو كتابي الاول لكني نشرت كتابات عديدة علي صفحات الصحف الإلكترونية مثل ليبيا المستقبل وبوابة الوسط والحوار المتمدن العراقية وإكسير المغربية ودوت مصر المصرية بالأصالة الى مدونتي الشخصية أفاق وصفحاتي على مواقع التواصل الاجتماعي.

س: ما هي طقوسك الخاصة للكتابة..متى وأين تكتب؟

ج: استعمل قطار الانفاق للذهاب إلى عملي والعودة منه وقد كنت أقرأ في العادة كغيري من الركاب أثناء رحلتي اليومية فعادة القراءة في وسائل النقل أثناء السفر يشتهر بها الشعب البريطاني وهي شائعة جدا ثم تطور الامر فبدأت اكتب وأصبح الأمر عادة محببة احرص عليها وهذا الكتاب كتب في أغلبه على شاشة الهاتف المحمول وانا جالس على مقعدي في قطار الانفاق اللندني.

س: ماهي مشاريعك المستقبلية؟

ج: كنت قد كتبت مجموعة من المحاولات الشعرية في السنوات الأخيرة ولي محاولات أخرى قديمة يعود بعضها إلى أيام الجامعة لم يتم نشرها وقد قمت بمحاولة تجميعها في مخطوط لديوان قد يكون مناسبا للنشر، ولي مشروع طموح أخر وضعت خطوطه العريضة وشرعت في كتابة فصله الأول وهو لرواية ستكون هي الأولى اذا سمح لي الوقت ووفقني اللّه في ذلك.

هل تودّ أن تقول أي شيء اخر لقرائك ومتابعيك؟

ج: أتوجه بالشكر الجزيل لك سيدتي الكريمة ولكل من تفضل بمتابعة ما اكتب وأتمنى أن ينال كتابي المتواضع هذا قبولا وأستحسانا لدى القراء الأعزاء.

جنة النص

انتقاء :
سواسي الشريف

منسيّون..
مثل سلالمِ الحريق على ظهر المباني
هكذا يا أمّاه عالقون على متنِ الحياة...
كرار سالم الجنابي_العراق

حاول أن تنتصر لقلبك مرةً
لعلك تنجو به من الحنين
ولا تتركه وحيداً لثرثرة القصائد
والمحطات
يجالس الغرباء
على مقاعد القطارات الباردة
لمرايا العيون الناعسات
كي لا تبرحه وجعاً في ساعات الملل المتأخرة
لا تتركهُ للشوارع والمارة !
كي لا يتقاذفونه ككرات الثلج
فمن غيرهم يحبون اللهو
بكل ما قد يصادفهم
من غيرهم يقلق راحة القطط البائسة
على الرصيف
واحفظ لهُ من الطعنات

ما يذكرهُ بنساينهم
وامزج بمرارة الذكريات
رؤى العابرين في ليلكَ
لعلك تنجو بهِ
فلا دككاين ستبيعك قلباً...
حمزة الفلاح _ليبيا

«سر»
أفتش حقائبي الملونة
لاستعادة الفرح المنسي
الفرح الذي خبأته
ذات رعشةٍ
في مرآتي الصغيرة...
سوسن العريقي _اليمن

لفرّطِ ما لوّحتُ بيدي
ومسحتُ دمعي
وهم يرحلون
لم ألوح للدنيا حين جاءَ دوري
في الوَداع إكتفيت ;

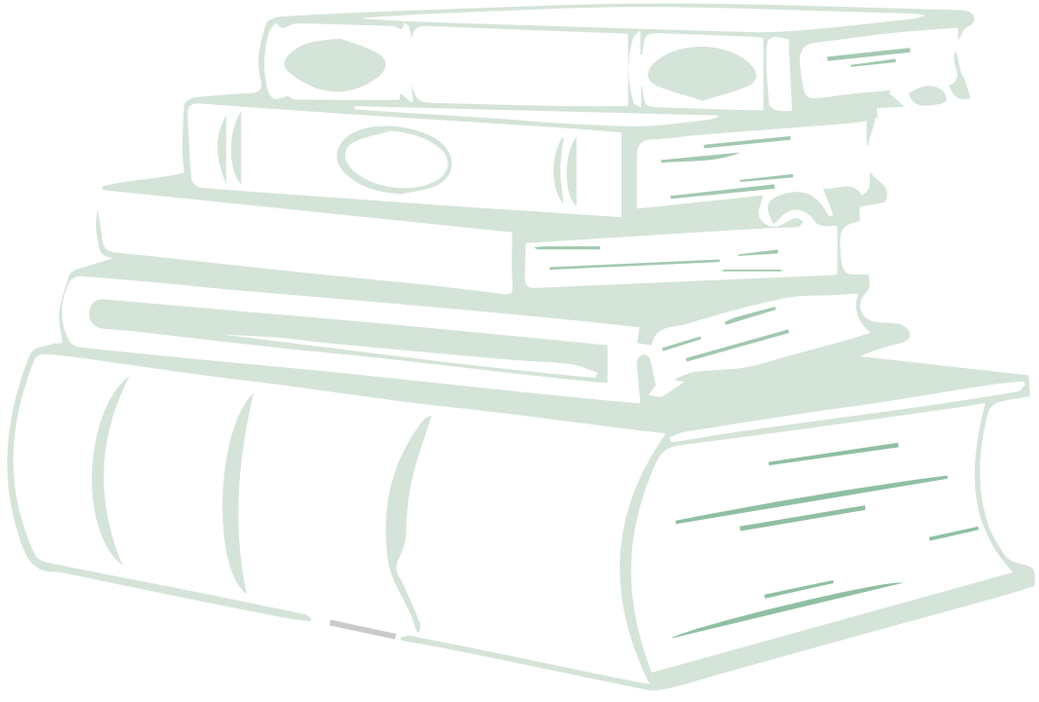

و أنا اغرق
بمسحِ النهرِ« عن عيني ».
امير العراقي _العراق

إنه قلبي الوحيد
ذلك المنسي قرب قطة تموء
تحت نافذة البيت جائعة
أيها الوطن المهاجر ...

مها دعاس_سوريا
الاشياء التي ترحل مبكرًا
هى ذاتها كالتي تأتي متأخرًا
كلاهما يقصمان عنقك
يصنعان فجوة بينك
وبين زلاجاتك البطيئة
كالرماد الذي يجثم فوقك

يرغمانك أن تفتح كوة
تمعن من خلالها
نحو عظامك المفتتة
تبقى دوما هناك
داخل علبة مصنوعة من القش
أو تنساها بمرور الوقت
في منعطف جانبي.
نجلاء حسين عبدالعال_مصر

ونحن مفترقان ،
يفصل ليلنا عن النهار حكمة ،
عاشقان مرميان على سبيل الحياة.
منسيان في آخر الوقت ،
لا يسأل عنا الحظ ،
لا يرحم ضحكتنا المنبهمة ،
احمد سالم الهلالي_العراق

السرايا الحمراء....
حصن العروس الزاهي

تصوير :
هبة شلابي
اية الحضيري

المعـــــرض

المعـــــرض

روايات ليبية
تتحدى غبار الموت

خلود الفلاح

البلدان التي تعيش الحروب والنزاعات، لها وجه خفي قد لا يدركه إلا من يعيش داخل أحداثها المتقلبة على أرضها، حيث لا تختفي وجوه الحياة رغم تدهورها وغياب بعض مظاهر الحياة وسط رحى الحروب وغبار الموت والدمار. هذه الحياة التي تبقى ملتصقة بالأرض وبالناس يسردها المبدع من خلال صورة سينمائية، أو أدبيا من خلال الشعر أو القصص القصيرة أو الرواية مثلا. وتمتلك الرواية قدرة كبيرة على سرد تفاصيل الواقع الذي تنشأ فيه، لذا يمكنها العيش في أقسى الظروف حتى وسط رحى الحرب نفسها. هنا نستطلع آراء كتاب ليبيين أصدروا رواياتهم وسط النزاع الذي يمزق البلد، حول أعمالهم.

حكاية متوارية

في ليبيا كل شيء يسير بشكل مألوف لحياة طبيعية في بلد هادئ، يمكن أن تكون هناك أمسية شعرية في مكان مّا، وفي جانب آخر من المدينة نفسها تتعالى أصوات التفجيرات. وكأن الحياة تخبرنا بأن لكل شيء تعيس وقبيح مقابلا مبهجا. من المفترض أن يكون المحور الرئيسي لهذه الروايات الصراع الحالي، ولكن نكتشف أن هناك شخصيات وأحداثا تحدث في عوالم روائية أخرى، وكأن هذه الروايات ترفض تدوين الخراب أو ربما الوقت لم يحن بعد للكتابة.

الناقدة فاطمة الحاجي تنشر اليوم روايتها الأولى «صراخ الطابق السفلي»، عن دار النهضة اللبنانية، تتحدث فيها عن فترة مهمة من تاريخ ليبيا الحديث، فترة ثمانينات القرن الماضي التي شهدت اضطرابات وتحولات على كافة الأصعدة؛ تجربة الليبيين مع حرب تشاد ومعاناتهم من الحصار الغربي الاقتصادي والجوي.

تقول الحاجي «الرواية نتاج تجربتي في عصر قد شاهدته وعايشت بعض أحداثه، وقد بدأت كتابتها منذ أكثر من عشر سنوات، وضاعت مني عندما سرقوا بيتي عام 2011، وأعمل على ترجمة الرواية إلى لغات أخرى لأني أرى أنها رواية تتحدث عن زمن مهم، وأغلب الناس لا يعرفون عن تفاصيله الكثير. لم أشعر بالخوف من نقدي للكاتبة داخلي عندما كتبت روايتي. كنت فقط في سباق مع الزمن، فمعضلتي الوحيدة كانت خشيتي ألا يمنحني المرض فرصة رؤية الرواية بين يدي القراء. ليس غرورا أن أقول إنها رواية جديرة بأن تُكتَب وتُقرَأ».

تبدأ فاطمة الحاجي روايتها «صراخ الطابق السفلي»، برسالة إلى الناشر جاء فيها «أنا سعاد صوت من أصوات الرواية، قبل أن أرحل أردت أن أسرد شهادتي على ما عايشته، وأزيح الستار عن أسرار لم تكشف لأحد من قبل، أسرار تعود إلى فترة مجهولة من تاريخ ليبيا المتواري في ركن خفي من الوجود».

ساحة معركة

رواية «أسلوب جدي»، للروائي شكري الميدي أجي، محاولة لتجميع أو استعادة ذكريات صبي مر بأحداث متداخلة خلال عامه الرابع عشر، إثر عاصفة رملية اجتاحتْ بلدته. خلال تلك العاصفة كان قد بدأ ربط خيوط قصص مختلفة

سمعها مطولاً عن والده وجده. كان صبيا مولعاً بقراءة قصص الحروب العالمية المصورة. من خلال حكايات جده عن فترة شبابه ومراهقته، يبدأ بمقارنة كل ذلك بالحياة التي كان يعيشها والده، كما يشرع في اكتشاف بهجة الرغبات ضمن تفاصيل الحياة من حوله، ليجد أمامه دوماً أسلوبين في العيش، أحدهما لأبيه والآخر لجده، يحاول أن يكتشف أيهما هو الأنسب بالنسبة إليه. والده الصارم لديه رؤية خاصة تجاه الحياة، فهو يعتبر تاريخ الجد غير موثوق فيه، وأنه مليء بالأساطير والقصص الخيالية تناقض الأحداث الواقعية، في حين يعتبر الجد أن قصص الأب تتجاهل إمكانية حدوث الصدف، ولذلك تُعتبر مفرطة في الجدية. يصبح عقل الصبي بمثابة ساحة معركة لقصص الإثنين تنعكس على تصرفاته، يتصرف مثل جده خلال أحد المواقف -أو كما تهيأ له- إذ يقدم على تصرف سيء تجاه -ما اعتبره فيما بعد- حبه الأول، ليشرع في تأنيب ذاته، معتبراً نفسه شخصاً بلا أخلاقيات، وهذه النظرة تماثل نظرة الأب تجاه تاريخ الجد.

ويضيف الروائي شكري الميدي أجي قائلا «الرواية تروي بعض تصرفات -ذكريات- أقدم عليها الصبي خلال تلك السنة البعيدة داخل بلدته التي شهدت كثيراً من الأحداث السياسية التي أعقبت صراعا قبليا، يكتشف خلالها الصبي المزيد من الأمور الجديدة عليه التي اعتبرها أسرارا تخص الكبار وحدهم».

طرافة وأسطورة

تقول الروائية عائشة إبراهيم صاحبة رواية «قصيل»، إن قراء الأدب موجودون في كل الأوقات وكل الظروف، فالأدب هو ميكانيزم الدفاع الذي ابتكره الإنسان للتغلب على الأزمات، وإلا ما كان هناك شعر الملاحم وأغاني المقاومة التي ابتكرتها شعوب الأرض على مر الأزمنة.

وتضيف: «رواية قصيل هي نص يتخذ من موطن نشأة الكاتبة مسرحاً لأحداثه، ويسلط الضوء على بعض أنماط التفكير الجماعي، ويوثق في ومضات خاطفة بعض سيرة المكان عبر أزمنة متعاقبة، من العصر الروماني مروراً بالحكم العثماني والاحتلال الإيطالي، ثم ملامح الدولة الليبية ما بين عقدي الستينات والثمانينات من القرن الماضي وما يتخللها من تغير اجتماعي واقتصادي، ناسجة حولها حكايات تجمع بين الموروث والطرافة والأسطورة، وضمنتها خصوصية البيئة وتقاليدها وأنماطها الاقتصادية والاجتماعية والمؤثرات السياسية التي تفاعلت معها وفيها».

وتتابع «الرواية صدرت عن دار ميم الجزائرية، وللأسف بسبب الرسوم الجمركية الباهظة على الكتب إضافة إلى ارتفاع سعر صرف الدولار، لم يتمكن اتحاد الناشرين الليبيين الذي يترأسه الأستاذ علي عوين، من طرح الرواية للقراء في ليبيا».

قوة الحياة

الروائي أحمد الفيتوري في روايته «ألف داحس وليلة غبراء»، يقدم ثلاث سرديات روائية؛ الأولى بعنوان (غابة الأشجار الميتة)، والثانية بعنوان (غابة القضبان الحية)، والثالثة (غابة الرؤوس المقطوعة). يقول الفيتوري «لم أكتب رواية تاريخية، بل كتبت رواية حيوات فاعلة وطازجة وحية، وسردياتها تشي بذلك خاصة في مرحلة إنسانية مليئة بالتحولات الجذرية، مرحلة الحداثة والتحديث».

ويضيف الكاتب «لقد كنت أثناء الكتابة غاطسا في يمّ الذاكرة، فالكتابة في عمومها فن الاستعادة، وحين كنت الغريق كان الحال يجعلني أطفو وتلاطمني أمواج الحال، ما بين حال الكتابة وبين حال ما هو خارج الكتابة، كنت بين داحس وغبراء وبين ألف ليلة وليلة، وما يحدث من أهوال في يومي ويوم بلادي وبلاد داعش والعالم شبيه بما ظننت أني تخيلته أو أنه كابوس يقظة

لحظة الكتابة بدا أن ما تخيلت أني تخيلته كنت عشته وما عشته كنت أراه مرأى العين حاصلا، حتى ظننت أن الأمور تختلط عليّ، لكن الواقع كان أكثر مما أتخيل بشاعة، والرعب بجناحين وبأرواح سبع. تساءلت حينها ما الفرق بين صرخة الميلاد وصرخة الموت، وأثناء الكتابة تبينت أن الحياة أقوى من الموت لأنها أمه وزوجه فكنت أكتب وأكتب لأحيا... ولهذا القارئ كتبت: ألف داحس وليلة غبراء».

قالت جهينة

نظارة أينشتاين :

كان أينشتاين لا يستغني أبداً عن نظارته .. وذهب ذات مرة إلى أحد المطاعم ، واكتشف هناك أن نظارته ليست معه، فلما أتاه النادل بقائمة الطعام ليقرأها ويختار منها ما يريد، طلب منه أينشتين أن يقرأها له فاعتذر النادل قائلا : إنني آسف يا سيدي ، فأنا أمي جاهل مثلك !

سقراط و الزواج :

سأل أحد الطلاب سقراط عن الزواج فقال : ــ طبعاً تزوج، لأنك لو رزقت بامرأة طيبة أصبحت سعيداً، و لو رزقت بامرأة شقية ستصبح فيلسوفاً... ألم تكن زوجة سقراط طيبة؟ لو كانت كذلك، لما أصبح فيلسوفاً، إذاً كانت نصيحته من واقع تجربة.

نعم لقد أخذت زوجته بالصراخ عليه يوماً عندما لم يعرها انتباهه، فقذفته بالماء، فقال لها ببرود :

ــ ما زلت ترعدين و تبرقين حتى أمطرتِ .

دجاجتا الشافعي :

يقول الإمام الشافعي :

ــ كنا في سفرٍ بأرض اليمن، فوضعنا الطعام للعشاء، فحضرت صلاة المغرب والطعام جاهز، فتركنا الطعام وأقمنا الصلاة، وكان الطعام دجاجتين، فأتى ثعلب ونحن نصلي، وأخذ دجاجة وهرب . فلما انتهينا من الصلاة، أسفنا على الدجاجة..وقلنا : حُرمنا طعامنا . وبينما نحن كذلك إذ جاء الثعلب وفي فمه الدجاجة، نراه من بعيد، فوضعها بعيداً عناً..ووقف بعيداً عنها، يقول الإمام : فهجمنا عليها .فهرب

الثعلب...فلما وصلنا إليها ..فإذا هي ليفة على شكل دجاجة وليست دجاجة ... وبينما نحن نضحك على ذلك، كان الثعلب قد ذهب وأخذ الدجاجة الثانية وهرب بها ...فضحك علينا الثعلب..ونحن من كبار العلماء .

كلام حذيفة :

روي عن عمر رضي الله عنه .. أنه لقي حذيفة بن اليمان فقال له .. كيف أصبحت يا حذيفة ؟ .. فقال أصبحت أحب الفتنة .. وأكره الحق .. وأصلي بغير وضوء .. ولي في الأرض ما ليس لله في السماء ..فغضب عمر غضباً شديداً .. فدخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .. فقال يا أمير المؤمنين .. على وجهك أثر الغضب !! .. فأخبره عمر رضي الله عنه بما كان له مع حذيفة .. فقال له علي صدق يا عمر .يحب الفتنة يعني المال البنين .. لأن الله تعالى قال ((إنما أموالكم وأولادكم فتنة)) .ويكره الحق يعني الموت ..ويصلي بغير وضوء يعني أنه يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بغير وضوء في كل وقت. وله في الأرض ما ليس لله في السماء يعني له زوجة وولد وليس لله زوجة وولد .

زوجتي عرجاء :

جاء رجل إلى الشعبي، وقال: إني تزوجت امرأةً فوجدتها عرجاء..!! فهل لي أن أردّها؟! فقال له: إن كنت تريد أن تسابق بها فردّها .

بلاغة أشعب :

دخل أشعب على أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور فوجد أمير المؤمنين يأكل من طبق من اللوز والفستق فألقى أبو جعفر المنصور إلى أشعب بواحدة من اللوز فقال أشعب : يا أمير المؤمنين (ثاني اثنين إذ هما في الغار) فألقى إليه أبو جعفر اللوزة الثانية فقال أشعب : (فعززنا بثالث)، فألقى إليه الثالثة فقال أشعب : (فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك)، فألقى إليه الرابعة فقال أشعب :(ويقولون خمسة سادسهم كلبهم)، فألقى إليه الخامسة والسادسة فقال أشعب : (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم)، فألقى إليه السابعة والثامنة فقال أشعب : (وكان في المدينة تسعة رهط)، فألقى إليه التاسعة فقال أشعب : (فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة)، فألقى إليه العاشرة فقال أشعب : (إني وجدت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)، فألقى إليه الحادية عشر فقال أشعب : والله يا أمير المؤمنين إن لم تعطني الطبق كله لأقولن لك: (وأرسلناه إلى مائه ألف أو يزيدون) فأعطاه الطبق كله.

العلم والأخلاق ..

ثنائية الجدل والتوافق

إعداد - رنا المقصبي

يعود أصل كلمة الأخلاق «ethics» من الكلمة اليونانية « ethos » ، والتي تعني العرف أو السلوك.

اقترح الفيلسوف اليوناني (أرسطو) مفهوم الأخلاق في الأصل لمناقشة المسائل الفلسفية المتعلقة بالحياة اليومية ، تتناول دراسة السلوك الإنساني وتعطي معايير لتقييمه. منذ ذلك الحين ، أصبحت الأخلاق أحد الموضوعات الرئيسية في الفلسفة الغربية عند مناقشة القيم الاجتماعية والفردية وعلاقتها وتسلسلها الهرمي في المجتمع.

في الواقع ، عادة ما تحدث المناقشات حول الأسس الأخلاقية للمجتمع وإعادة

تفسيرها عندما تتحدى التطورات الجديدة العادات أو السلوكيات التقليدية .

في مجتمع ثابت ، القيم مقننة جداً ، عادة عن طريق الدين أو التقاليد .

هذا صحيح بالنسبة للعديد من المجتمعات القديمة ، التي ظلت دون تغيير لعدة قرون .لكن الحروب والغزوات أو ثقافة جديدة أو دين عادة ما يدفع إلى إعادة النظر في القيم التقليدية .

و على سبيل المثال ، أثارت الثورتان الفرنسية والروسية في أوروبا ، وكذلك الاستعمار في قارات أخرى ، اضطراباً فعليا في قيم المجتمع التقليدية وبدرجات لا رجعة فيها .

بحلول القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، برزت أخلاقيات المهنة كخطاب أكثر وعياً بالذات. عندما قام المؤلف والطبيب الإنجليزي (توماس بيرسيفال) بوضع ، أول مدونة حديثة لأخلاقيات مهنة الطب. قام بيرسيفال بصياغة كتيب مع الكود في عام 1794وكتب نسخة موسعة في عام 1803 ، حيث صاغ تعبيرات «أخلاقيات المهنة الطبية» و «الفقه الطبي». ثم تم تعديل مدونة الأخلاقيات في عام 1847 ، واعتمدت بشدة على كلمات بيرسيفال. على مر السنين في 1903 و 1912 و 1947 ، تم إجراء مراجعات مستمرة للوثيقة الأصلية.

بعد الحرب العالمية الثانية ، شاهد العالم أهوال الأطباء الألمان الذين يعملون في معسكرات الاعتقال وإجراء تجارب علمية قاتلة لم يكن لهم رأي فيها. تشير الجهود المبذولة لتصحيح هذه الأخطاء المنصوص عليها في قانون (نورمبرغ) إلى بداية الأخلاقيات الطبية الحديثة.

في 20 أغسطس 1947 ، أدين 16 طبيباً ألمانيا بارتكاب جرائم بشعة ضد الإنسانية. (لقد كانوا على استعداد للمشاركة في واحدة من أكبر الأمثلة على التطهير العرقي في التاريخ الحديث). خلال الحرب العالمية الثانية ، أجرى هؤلاء الأطباء النازيون تجارب طبية مزيفة على سجناء معسكرات الاعتقال ، وكانت القصص التي تكشفت أثناء محاكمتهم – محاكمة الأطباء – مليئة بأوصاف التعذيب والتشويه المتعمد والقتل.

أجرى الأطباء النازيون تجارب طبية وحشية على المعتقلين الضعفاء، وكانت هذه التجارب تتسم بالبكثير من أشكال الترويع منها إجبار الأفراد على الخضوع لدراسات خطيرة للغاية ضد إرادتهم، و تحمل جميع المشاركين تقريبًا لمعاناة غير معقولة وتشويه وألم يفوق الوصف، وكان القصد من هذه التجارب في العادة الوصول إلى نتائج قاتلة للضحايا.

و على الرغم من أن طبيعة جرائمهم كانت غير مقبولة بشكل لا يمكن إنكاره ، إلا أن دفاع الأطباء جادل بأن تجاربهم لم تكن مختلفة عن التجارب الأخرى التي أجريت قبل الحرب.

وزعموا أنه لا يوجد قانون دولي يحكم ما يمكن وما لا يمكن اعتباره تجربة إنسانية أخلاقية. ونتيجة لذلك ، أقر القضاة الذين يرأسون هذه المحكمة بالحاجة إلى طريقة شاملة ومتطورة لحماية مواضيع البحوث الإنسانية. لقد صاغوا مدونة (نورمبرغ) والتي كانت عبارة عن مجموعة من عشرة مبادئ تركز على موافقة المريض واستقلاليته

، وليس الطبيب. مر 70 عامًا على إنشاء مدونة (نورمبرغ)، ولا يمكن إنكار تأثيرها على قانون حقوق الإنسان ومجال أخلاقيات مهنة الطب.

في وقت لاحق من القرن العشرين ، كان لإيجاد تكنولوجيات جديدة من خلال التقدم العلمي تأثير عميق على المجتمع والرأي العام وطريقة حياتنا ، مما أثار نقاشًا حول كيفية استخدام هذه المعرفة.

في الخمسينيات والستينيات ، تناولت المناقشات الأخلاقية بشكل أساسي استخدام الفيزياء والهندسة لبناء أسلحة جديدة.

في السبعينات والثمانينات ، كان التركيز منصباً على المشكلات البيئية. اليوم ، تتناول معظم المناقشات الأخلاقية التقدم في علم الأحياء وعواقبه على المجتمع.

كما ان التقدم العلمي ، هو القوة الدافعة لغالبية التغييرات التي شهدناها في القرن العشرين ، يتطلب عقلًا نقدياً وخالياً من التحيز ومنفتحًا على طرق تفكير جديدة.

في بداية القرن التاسع عشر ، كان هناك ارتفاع ملحوظ في البحث الأكاديمي في الجامعات ، والذي يطلق عليه أيضا البحث «النقي».

البحوث الصناعية ، من ناحية أخرى ، كانت مختلفة جذرياً على الرغم من أنها تستند إلى نفس المعرفة ، إلا أنها كانت لها أهداف وقواعد مختلفة تماما.

لم تكن النتائج مملوكة من قبل العلماء ، لكنها كانت ملكًا للصناعات التي تمول البحث. لم يكن الهدف هو اكتساب معرفة جديدة ، ولكن اختراع منتجات جديدة من أجل زيادة الأرباح. اعتبرت المشكلات الأخلاقية مسؤولية الشركة وليست مسؤولية العلماء.

كما ان هذه الأنشطة هي مصدر مهم للدخل وكذلك الخبرة والتكنولوجيا الملكية للجامعات. علاوة على ذلك ، يتم تشجيعهم من قبل السياسيين لأنهم يقومون بتأسيس شركات ناشئة وتحفيز الاقتصاديات المحلية. على الرغم من أن هذه الظاهرة تعتبر مفيدة للغاية ، إلا أنها قد تسببت بالفعل في تضارب المصالح ، اذ ان هناك مخاوف من أن تضارب المصالح ، لا سيما في الأبحاث السريرية حيث انه من الصعب للغاية الكشف على ان معدل الموافقة على الأدوية الجديدة سيبدأ قريبا في التقلص.

وكمثال على ضرورة إجراء مناقشات حول الأخلاقيات ، أود أن أشير إلى النقاش حول الخلايا الجذعية الجنينية حيث يمكن استخدام المعرفة المتعلقة بالخلايا الجذعية البشرية لاستنباط علاجات جديدة قد تفيد ملايين المرضى يمكن أن تنمو هذه الخلايا الشديدة التميز وتفرّق في المختبر لإنتاج خطوط خلايا محددة ، والتي يمكن استخدامها كزرع للخلايا ، على سبيل المثال لاستبدال الخلايا العصبية «الدوبامينية» لعلاج مرض باركنسون ، أو خلايا البنكرياس لعلاج مرض السكري.

هذه استراتيجية بحثية وليست تقنية عاملة ؛ ليس من الواضح بعد ما إذا كان هذا الهدف سيتحقق بسهولة ، لأن زرع خلايا جديدة في كائن حي قد يغير آليات التفاعل الخلوي والدوائر

الأيضية. ومع ذلك ، فإن النقاش العام يسأل عما إذا كان من الأخلاقي تدمير الأجنة البشرية من أجل اكتساب المعرفة لغرض علاج الأمراض.

حيث هناك جدل ضد استخدام الخلايا الجنينية بشكل أساسي مع احترام الحياة الإنسانية وكرامة الإنسان

يطلب العديد من النقاد وقفاً مؤقتاً لتعليق البحث عن الخلايا الجذعية الجنينية ويفضلون بدلاً من ذلك استخدام الخلايا الجذعية البالغة أو خلايا الدم من الحبال السرية للأطفال حديثي الولادة. ومع ذلك ، يمكن تحقيق النتائج في إطار زمني أقصر باستخدام الخلايا الجنينية ، وعلاوة على ذلك ، لم يتضح بعد ما إذا كانت الخلايا البالغة لديها نفس الإمكانية للتمايز إلى أنسجة مختلفة .

من وجهة نظري أرى ان هذا الموضوع حساس للغاية لأن المجتمع ليس لديه رأي مستنير وبالتالي لا يزال يتعين عليه التوصل إلى توافق في الآراء. مرة أخرى ، هذه مسألة تسلسل هرمي للقيم: هل حياة الجنين المتجمد أكثر أهمية من العلاج لمرض ما؟ يجب أن يشمل تعليق الأبحاث باستخدام الخلايا الجنينية البشرية كلا المجالين العام والخاص لأن السماح بمواصلة هذا الأخير سيكون نفاقًا حقيقيًا. بالطبع ، لا ينبغي فرض أي قيود على الأبحاث التي تستخدم الخلايا الجذعية البالغة أو الخلايا الجذعية الجنينية المعزولة من الحيوانات. لكنني أعتقد أنه سيكون من الصعب إنشاء مثل هذا الوقف لعدة أسباب:

أولاً ، يجب احترامها في جميع أنحاء العالم وليس فقط في بعض الدول.

ثانياً ، سيكون من الصعب التوصل إلى توافق في الآراء بشأن الوقف الاختياري لأن جمعيات المرضى والقطاع الصناعي سيضغطون بالتأكيد لمواصلة هذا البحث.

ثالثًا ، يجب أن ندرك أن للعلماء اهتمامًا فكريًا ، ولكن عمليا أيضًا ، حيث يمكن الحصول على النتائج بسهولة أكبر مع الخلايا الجذعية الجنينية بدلاً من الخلايا الجذعية البالغة.

أخيرا ... لن يكون الوقف الاختياري خيارًا محايداً من الناحية الأخلاقية ، لأنه قد يؤخر إمكانية علاج المرضى. على الرغم من أن الوقف الاختياري غير واقعي على الأرجح ، فمن الضروري إيجاد حلول تراعي المشكلات الأخلاقية لجميع قطاعات المجتمع.

وهذا لا يتطلب فقط أن يصبح المجتمع أكثر وعياً بالجوانب المختلفة للقضية ، بل وأيضا أن يصبح العلماء أكثر وعياً بالجوانب الأخلاقية لعملهم.

نحن نعيش في عالم تتحدى فيه المعرفة العلمية والتقنيات الحديثة قيمنا باستمرار. علينا جميعًا أن نعيش حياتنا اليومية وأن نتخذ قرارات بناءً على القيم الأساسية للكرامة الإنسانية المتضمنة في حضارتنا. العلماء ليسوا استثناء. بدلاً من ذلك ، أنا مقتنع بأن عليهم التزامًا ببذل جهد خاص للمساهمة في هذه المناقشة ، لأن لديهم في كثير من الأحيان مزيدًا من المعلومات ومعرفة أكثر أساسية حول المشكلات ذاتها التي تولد هذه المعضلات الأخلاقية.

نساء الأيام الصعبة

قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى كانت أوضاع النساء في أوربا متشابهة تقريباً، لا يخرج دورهن عن كونهن ربات بيوت أو عاملات منازل أو خادمات.
والأمر شمل جميع طبقات المجتمع، حيث كان عمل المرأة أمراً غير مقبول اجتماعياً....لم يكن هذا الأمر يختلف عند بداية الحرب التي اعتقد الجميع أنها ستنتهي سريعاً.
غير أن الحرب طالت، وأصبح من الضروري تطوير الخدمات الصحية فيها، هذه الخدمات التي كان يتولى

إلسا براندستروم إبنة السفير السويدي في روسيا التي اشتهرت بنشاطها التطوعي

أمرها الرجال مع وجود قلة قليلة من النساء المرفوضات من القيادات العليا في الجيوش على اعتبار التفكير البدائي السائد بأن النساء لا يصلحن للحرب .
كانت الأوضاع على الجبهة الفرنسية سيئة للغاية، فلم تكن النساء جزءًا من طاقم الرعاية الصحية، عملت بعض الراهبات بشكل مستقل، وقمن بفتح مستشفى ميداني لرعاية الجرحى والأمر نفسه قامت به بعض نساء الطبقة النبيلة.
في ألمانيا كانت ظروف وإمكانيات المعالجة أكثر تطوراً، إلا أنها تفتقد النساء أيضاً، حيث أن المستشفيات الميدانية يتولى أمرها الرجال.
في بريطانيا كانت الأوضاع أكثر انفتاحاً مقارنة بالفرنسيين والألمان، حيث قامت العديد من الأسر الأرستقراطية بفتح منازلها وقصورها لعلاج الجرحى والمصابين، وتطوعت العديد من الشابات، وإن كان بعيدً عن خطوط القتال، في البداية تطوعن للمشاركة في برنامج تدريب الممرضات .
مرت النساء اللائي تطوعن بعدة مستويات من التدريب الطبي. بالنسبة إلى خدمة التمريض العسكري الإمبراطوري للملكة أليكساندرا، كان التدريب إلزاميًا بإجراءات مشددة

ودقيقة وكانت هناك مجموعات بشكل كبير.
تمريض متطوعة أخرى، مثل VADs كانت المتطوعات من جميع الطبقات
– التي تدربت عليها أغاثا كريستي – الاجتماعية فإلسا براندستروم أو من
أقل تشددًا، حيث ساعدت في مهام تلقب ب»ملاك سيبيريا» كانت ابنة
التمريض الثانوية. السفير السويدي لدى القيصر نيكولاس
تم منح مجموعات التمريض المنظمة الثاني وكانت في روسيا أثناء اندلاع
مثل (مجموعات الملكة ألكسندرا) رتبة الحرب العالمية الأولى، تطوعت ووضعت
ضابط من أجل حمايتهم ومنحهم بعض مهاراتها التمريضية لاستخدامها مع
المكانة عند التعامل مع الأطباء والرتب الجيش الروسي.
الأخرى في الجيش. في عام 1915، كانت في سيبيريا مع
الإجراءات الصارمة بضرورة مهنية الصليب الأحمر السويدي. تعالج أسرى
العلاقة بين الممرضات والجرحى والتي الحرب الألمان أصبحت الأمور أكثر
كُن فيها معرضات للطرد في حال تجاوز تعقيدًا عندما تم إلغاء تصريح عملهم،
حدود العلاقة بين الجريح والممرضة أو لكن هذا لم يمنعها فواصلت السفر
في حالة ما أصبحوا مخطوبين . إلى سيبيريا بشكل غير قانوني لمدة
مع طول أمد الحرب تغيرت النظرة عامين كاملين ، حتى اعتقلتها السلطات
للممرضات بشكل كبير جداً، تحملت الروسية في أومسك في عام 1920.
الممرضات أهوال الحرب لسنوات بكل بعد إطلاق سراحها، عادت إلى السويد
شجاعة مساهمات في إنقاذ أرواح وأطلقت حملة لمساعدة أسرى الحرب.
الملايين ومطورات من مهنة التمريض وشملت جهودها جمع التبرعات

إديث كافيل الممرضة التي
اعدمتها القوات الألمانية

دوورثي فيلدينغ الأرستقراطية التي
تحولت لسائقة سيارة الإسعاف

وتأسيس منزل للأطفال به أكثر من
200 يتيم.
«دوروثي فيلدينغ» سليلة إحدى العوائل
الأرستقراطية في إنجلترا. تم تقديمها
إلى ملك وملكة إنجلترا عندما كان
عمرها 18 عامًا. لكن فيلدينج تركت
حياة البذخ وتوجهت نحو خطوط القتال
لتصبح سائقة سيارة إسعاف مع وحدة
المتطوعين المتمركزة في بلجيكا.
مع وصول الممرضات للصفوف الأولى
في المستشفيات الميدانية اظهرن شجاعة
ورباطة جأش في مواجهة المعارك
تعرضن خلالها للعديد من المخاطر
منها التسمم بالغازات الكيميائية،
والانسحابات المتكررة في صفوف القوات
التي تترك وراءها مئات الجرحى، مما
حدا بهن إلى البقاء لمعالجة الجرحى
.الأمر الذي تسبب في حدوث مشاكل
كثيرة لطواقم التمريض وصلت لحد
القتل.
المرضة البريطانية «إديث كافيللم»
يقتصر الأمر على بقائها في بلجيكا بعد
مغادرة القوات البريطانية، بل اتهمها
الألمان بالجاسوسية عندما قامت
بمساعدة 200ضابط بريطاني في
الهروب من الأسر. وتم إعدامها رمياً
بالرصاص في 12 أكتوبر 1915.
كان انجاز النساء في الحرب العالمية
الأولى ومجهودهن كبيراً ومؤثراً ،ساهم
في إنقاذ الملايين من البشر.

في فكر آدم سميث

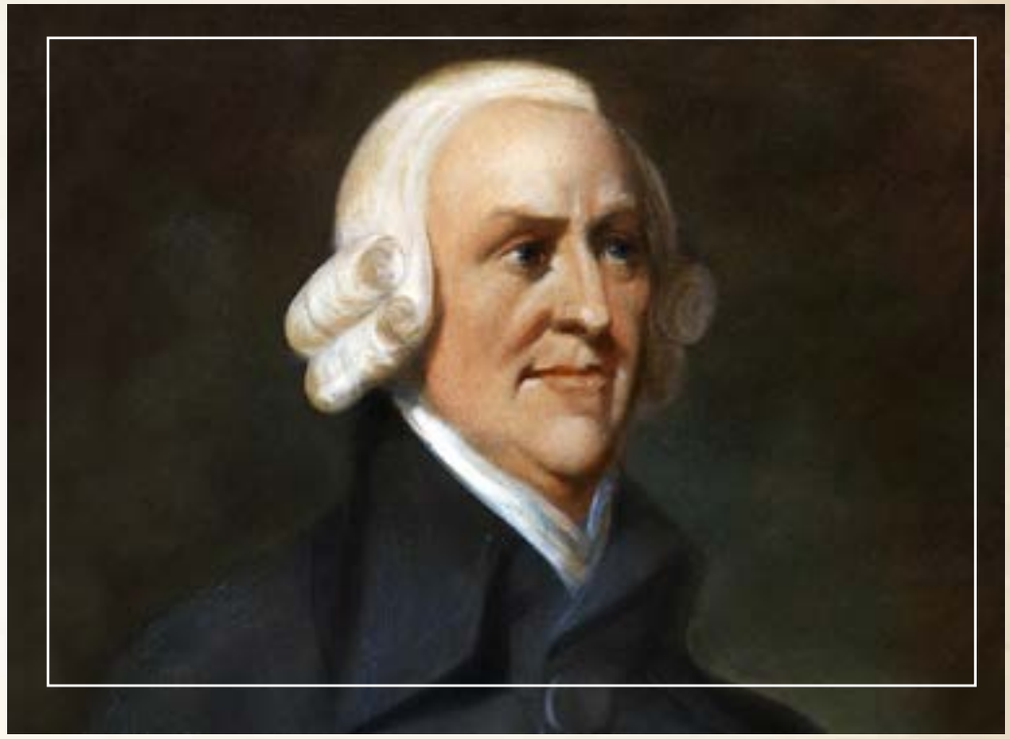

محمد عادل زكي - مصر

- كانت مارجريت دوجلاس حاملاً بالفعل عندما مات عنها زوجها المحامي المشهور وضابط الجمارك السابق في يناير 1723. وفي الخامس من يونيو، أضافت مارجريت في سجلات المواليد اسم طفلها الذي حمل اسم والده المتوفى: آدم سميث. مرت الأعوام ليصبح هذا الطفل فيما بعد واحداً من أهم مفكري عصره. ومؤلفاً لأحد أكثر الكتب تأثيراً في تاريخ البشر.

- ولد «سميث» في «كيركالدي» التي كانت ميناءً اسكتلندياً على لسان «فورث» البحري في «إدنبره»، وكانت مركزاً تجارياً تفد إليه السفن المحملة بالأسماك، وتخرج منه لتصدير الفحم المستخرج من المناجم المحلية، وتعود بالحديد الخردة لصناعة

الحديد. وهكذا ترعرع سميث إلى جانب البحارة وتجار السمك ومصنعي المسامير وضباط الجمارك والمهربين، ولسوف يكون لذلك الدور المركزي في صوغ نظريات مؤسس علم الاقتصاد السياسي.

- لا نعلم إلا القليل عن طفولة آدم سميث، ومن ذلك أنه في سن الثالثة تعرض للخطف لمدة قصيرة على أيدي الغجر، حتى استطاع خاله أن يعيده سالماً.

- كان سميث متفوقاً في دراسته الجامعية في جامعة «جلاسكو»، التي انخرط فيها في سن الرابعة عشرة، ففاز بمنحة للدراسة في كلية «باليول» في جامعة «أوكسفورد». ولكن منظومة التعليم في إنجلترا، بصفة خاصة في أوكسفورد، لم تنل إعجابه. الأمر الذي جعله يترك أوكسفورد ويعود إلى «كيركالدي» قبل نهاية المنحة الدراسية.

- بفضل الصلات العائلية، قام اللورد «كامس»، وهو محام ومفكر بارز، بدعوة سميث لإلقاء سلسلة من الحاضرات العامة في إدنبره حول الأدب الإنجليزي وفلسفة القانون. وقد أحرزت المحاضرات نجاحاً عظيماً.

- عندما بلغ السابعة والعشرين في عام 1751، قام سميث بتدريس المنطق وفلسفة الأخلاق والأدب والبلاغة في جامعة «جلاسكو».

- في 1759 نشر «سميث تأملاته» في كتاب تحت عنوان«نظرية المشاعر الأخلاقية»، وحينما أرسل صديق سميث الفيلسوف «ديفيد هيوم» نسخاً من هذا الكتاب إلى عدد من الأصدقاء، ومنهم «تشارلز تاونسند»، قام الأخير بتوظيف سميث بمرتب قدره 300 جنيه استرليني طيلة الحياة، وذلك كمعلم خصوصي لابن زوجته دوق بوكليه.

- لم يمض وقت طويل حتى انطلق «سميث» مع تلميذه في رحلة إلى فرنسا، حيث كان السفر جزءاً من العملية التعليمية لكل شاب أرستقراطي في ذلك الوقت، واستمتع كلاهما في باريس بالصحبة لديفيد هيوم الذي كان السكرتير الخاص للسفير هناك. لكن سميث لم يكن يتكلم الفرنسية بطلاقة، ووجد صعوبة في التواصل مع الآخرين؛ فبدأ الضجر يتملكه وأخبر هيوم:» لقد بدأت بتأليف كتاب من أجل تمضية الوقت». ولم يكن هذا الكتاب إلا «ثروة الأمم».

- رجع سميث مع تلميذه إلى لندن في عام 1766، وعاد سميث إلى «كيركالدي» ليقيم فيها، حيث استطاع توفير ما يكفي لشراء منزل عظيم في شارع هاي ستريت، وعاش فيه مع والدته وابنة خاله جانيت.

- أمضى سميث أعواماً كثيرة في «كيركالدي» وهو يكتب وينقح ويصقل مخطوطته على حساب صحته، لكنه تحسن بعد مدة طويلة أمضاها في لندن من 1773 إلى 1776، مستمتعاً بصحبة مفكرين عظماء آخرين من أمثال الرسام السير جوشوا رينولدز، والمؤرخ الكبير إدوارد جيبون، والسياسي الراديكالي إدموند بيرك.

- نشر «ثروة الأمم» أخيراً في مارس 1776، وحقق نجاحاً تجارياً هائلاً، وطبع عدة مرات وبلغات متنوعة خلال بضعة أعوام فقط، كما أنه حقق نجاحاً تطبيقياً أيضاً؛ فالوصفات التي قدمها، كتحرير التجارة، أخذت طريقها في السياسة العامة.

- بعد نجاح «ثروة الأمم» على هذا النحو، كوفيء سميث بتعيينه في منصب مفوض الجمارك في إدنبره، براتب قدره 600 جنيه استرليني. وهكذا، أصبح حينها أكبر المنتقدين لمنظومة الجمارك الاعتباطية الفاشلة في بريطانيا، متبوئاً لمنصب يمكنه

من فعل شيئاً ما إزاء هذا الواقع. وقد أبدى سميث قدراً كبيراً من الجدية في القيام بمهام منصبه.

- اصطلاح «اليد الخفية» ليس بالمصطلح الشائع في كتابات سميث؛ كما يتوهم البعض، فهو يظهر لأول مرة في كتاب نظرية المشاعر الأخلاقية في الفصل الأول من القسم الرابع. ثم يظهر مرة ثانية، وأخيرة، في ثروة الأمم، في الفصل الثاني من الكتاب الرابع.

- كان سميث يحب الجدل والنقاش مع الأصدقاء، وفي يوليو 1790، وبينما كان يقضي أحد أمسيات الجدل الكثيرة في إدنبره، أحس سميث بالتعب وذهب ليرتاح في فراشه مودعاً أصدقاءه قائلاً: «ان للنقاش بقية في مكان آخر». والواقع أن سميث قد ودع أصدقاءه في تلك الليلة الوداع الأخير.

(1)

«يعتبر آدم سميث المؤسس الحقيقي للمدرسة الكلاسيكية. تلك المدرسة التي كان لكتاباتها تأثير أوسع وعلى مدى أطول من أية مدرسة أخرى، ويمكن القول بأنه قد تجمعت طائفة من الظروف، بشكل غير مألوف، لتكوين الوسط الذي هيأ لآدم سميث أسباب النجاح، فهناك أولاً المذهب الحر الجديد... والذي لم يكن مبعث الإلهام للطبيعيين بفرنسا فحسب، بل واكتسح كل ما أمامه في الدوائر الفكرية التقدمية بإنجلترا...، ولقد سافر سميث نفسه إلى فرنسا، وحضر ندوات الطبيعيين في مسكن «فرنسوا كينيه».

لقد عاش سميث في بداية الثورة الصناعية حين عملت الآلات... على مضاعفة الإنتاج بسرعة كبيرة. لقد ثبتت دعائم الثورة التجارية من قبل ذلك الحين بفترة طويلة، ولا شك في ذلك، ولكن فرص الكسب في الصناعة والتجارة أصبحت الآن أضعاف ما كانت عليه بالنسبة إلى أولئك الذين عرفوا كيف يستفيدون من المخترعات الكثيرة التي أخذت تبرز وتتولد بوتيرة متسارعة من العلوم وعناصر التقدم الفني الحديثة. لقد بدأت الثورة الصناعية... فتطلب النظام الجديد أفكاراً لتبريره، لا ضد الأرستقراطية الزراعية كما كانت الحال بالنسبة إلى التجارة، وإنما ضد الاحتكارات التي فرضتها السياسة التجارية ذاتها. وكما لعب الطبيعيون دور المتحدث بلسان الزراعة في ثورتها ضد الامتيازات التجارية.

كان آدم سميث وأتباعه المدافعين عن طبقة رجال الصناعة الناشئة وعن المستعمرات التي كانت موضع الاستغلال. لقد امتاز سميث بدقة الملاحظة مع القدرة على التعلم من عالم النشاط والعمل، حتى ولو لم يتفق ما يتعلمه مع المذاهب المقررة. وتميز كذلك بذكر الأمثال التي توضح المسائل، مما جعل الكل يقبلون على مطالعة ما يكتب، وأكسبها التقدير بصفة خاصة من جانب الرجال العمليين. وفي الوقت نفسه كان سميث ذا اتجاه فلسفي ممزوج بالدوافع الأخلاقية، مما مكنه من صياغة أفكاره على هيئة نظام منطقي في الوسع إثباته وتأييده...». (صول، المذاهب الاقتصادية الكبرى).

والواقع، تاريخياً، أن آدم سميث لا يعد أول مَن أرسى دعائم الاقتصاد السياسي، إذ توجد جذور هذا العلم في كتابات رواد العلم مثل الإحصائي الإنجليزي وليم بتي (1623-1687) ورجل المال والأعمال الأيرلندي ريتشارد كانتيون (1680-1743) والطبيب الفرنسي فرنسوا كينيه. وسبب اختياري آدم سميث كنقطة بدء-

والعرض الموسع نسبياً لمجمل موضوعاته العامة في الاقتصاد السياسي، على الرغم من الروائع الفكرية والاجتهادات المرموقة السابقة عليه- يُبنى على أمرين:

- أن سميث كان لديه الوعي بأنه يرسي دعائم العلم، علم جديد. إذ كانت الأفكار الخاصة بالقيمة والإنتاج والتوزيع والسوق والأثمان والأجور والأرباح، وغيرها من الأفكار الَّتي فرضت نفسها آنذاك على الواقع الأوروبي، متفرقة في الكتابات السابقة، وتظهر عرضاً إلى حد كبير.

- أنه الملهم الأول، والأهم، لمَن سيأتي من بعده من مفكري الاقتصاد السياسي، وفي مقدمتهم ريكاردو، ومالتس، ورامساي، وملِ، وساي، وماركس، بصفة خاصة في مبحث القيمة. إذ ستمثل أطروحاته المركزية، بعد نقدها وتطويرها، الأساس النظري الَّذي سيشيَّد عليه علم الاقتصاد السياسي كما هو بين أيدينا الآن. ولم تزل محاولات الرجوع إلى سميث مستمرة حتى أيامنا هذه.

(2)

ابتداءً من هدف الكشف عن القوانين الَّتي تحكم زيادة الثروة ونموها على الصعيد الاجتماعي، وهو هدف يرتكز على تصور محدد لموضوع العلم محل انشغاله، يطرح سميث على نفسه سؤالين: ما هي طبيعة ثروة الأمة؟ وما هي أسباب زيادتها؟ ووفقاً لمحاولته الإجابة على هذين السؤالين يتشكل لديه مجمل البناء النظري الَّذي يقدمه لعلم الاقتصاد السياسي، والَّذي يحدده بأنه ذلك الفرع من فروع المعرفة الَّذي:

«يستخدمه رجل الدولة أو المشرع، لأنه يمدهما بأمرين: الأول: كيف يوفرون عوائد وفيرة للمواطنين أو كيف يوفرون هم عوائدهم. والثاني: كيفية تزويد الدولة أو الكومنولث بالإيرادات الكافية للخدمات العامة وإثراء الشعب والسلطة».(ثروة الأمم، الكتاب الرابع، المقدمة).

وعلى الرغم من أن هذا التعريف يجيء على نحو متأخر منهجياً في ثروة الأمم، إذ يستهل به سميث الكتاب الرابع، فهو في الواقع يأتي على نحو منسجم تمام الانسجام مع ابحاث سميث عبر أقسام مؤلفه، بوجه خاص في الكتاب الأول، إذ وكما سنرى تفصيلاً بعد قليل أن موضوع العلم عند سميث، على هذا النحو، إنما يرتبط بابحاثه في حقل الإنتاج، الإنتاج المتزايد بفضل عمل العمال عبر نمو مطرد. فلسوف ينشغل سميث بدراسة مصدر الثروة ومكوناتها وطبيعتها، وأسباب زيادتها، وأنواع الدخول ومنابعها، وتوزيع الناتج الفائض وتداوله بين طبقات المجتمع. وهو في كل ابحاثه تقريباً، حتَّى وهو يدرس قوانين السوق وأثمان السلع وتأرجحاتها، يبدأ من حقل الإنتاج؛ ولذا كان الاقتصاد السياسي لديه علماً يمد أصحاب القرار السياسي في الدولة بالأدوات الفكرية الَّتي ترشدهم إلى القوانين الموضوعية الَّتي تنظم الإنتاج الاجتماعي الَّذي يحفظ للأمة حياتها، ويضمن لها تجديد إنتاجها، ويؤمن للحكام والمحكومين مصادر ثرائهما.

(3)

وبعد أن حدد سميث موضوع بحثه، كان عليه بالتالي أن يحدد المنهج الَّذي سوف يستخدمه في هذا البحث، وهنا نجده يعمد إلى استخدام المنهج التجريدي والمنهج الوصفي جنباً إلى جنب، واعتمدت طريقته على أن يعقب شرحه التجريدي لكل فكرة من أفكاره في جميع أجزاء ثروة الأمم باستدلال واقعي، وبضرب

الأمثلة التاريخية، من إنجلترا، أو فرنسا أو اسكتلندا أو الصين أو روما أو حتى مصر القديمة. فلقد كان سميث يحرص على البرهنة بأمثلة، من الواقع ومن التاريخ القديم والمعاصر، تؤكد على صحة تصوراته وصواب أفكاره. بل ولقد حرص سميث في بعض المواضع الفكرية في ثروة الأمم على تعريف قارئه صراحة بطريقته في التحليل، والَّتي قد تبدو، كما يقول، مملة في تفاصيلها ومرهقة في تجريدها!

(4)

وإذ يحدد سميث الموضوع محل انشغاله، والمنهج الَّذي سيستخدمه، يذهب راسماً ملامح الأساس النظري للعلم الجديد. ومنطلقاً من أسئلته المركزية: ما هي طبيعة ثروة الأمة؟ وما هي أسباب زيادتها؟ ولأن سميث يبدأ تحليله للنشاط الاقتصادي في المجتمع بتحليله لعملية العمل ذاتها. العمل الَّذي اعتبره سميث مصدر الثروة، فقد وجد سميث نفسه مباشرة أمام أهم ظاهرة، في تصوره، تقود إلى زيادة إنتاجية العمل، وبالتالي زيادة الثروة الاجتماعية. هذه الظاهرة هي ظاهرة التقسيم الاجتماعي للعمل؛ وبناء عليه، يبدأ كتابه المركزي، ثروة الأمم، بعبارته الَّتي توضح مدى وعيه بأهمية العمل في حياة الأمة؛ فالسلع الَّتي يستهلكها المجتمع إما أن تكون نتاج العمل المبذول في المجتمع، أو نتيجة مبادلة السلع الَّتي أنتجها المجتمع بسلع أخرى أنتجها العمل كذلك في مجتمع أخرى:

ويتخذ سميث، للتبسيط، من معمل صغير لإنتاج الدبابيس مثالاً، يوضح من خلاله مدى أهمية تقسيم العمل في زيادة الإنتاجية، ومن ثم زيادة ثروة الأمة، بحيث ينتج في يوم واحد ما كان يمكن إنتاجه ربما في عشرات الأيام:

« لنأخذ مثالاً من صناعة بسيطة جداً... إنها صناعة الدبابيس؛ فالعامل غير المدرب على هذه الصناعة، والتي جعلها تقسيم العمل صناعة مستقلة، وغير المعتاد على استعمال الآلات، التي أدى تقسيم العمل إلى ابتكارها في الغالب، قد لا يتمكن، وإن بذل أقصى ما يستطيع، أن يصنع أكثر من دبوس واحد في اليوم. ولكننا إذا نظرنا في الطريقة التي تزاول بها هذه الصناعة اليوم، وجدنا أن العمل فيها ليس مجرد صناعة محددة فحسب، بل إنه مقسم إلى عدد من الفروع التي يشكل معظمها أيضاً صنائع مختلفة. يشد رجل السلك، ويقومه رجل ثان، ويقطعه ثالث، ويدببه رابع، ويشحذه ويعده لتركيب الرأس خامس. أما صناعة الرأس نفسها فتحتاج ثلاث عمليات مختلفة، فوضعه في مكان عمل، وتبييض الدبابيس عمل آخر، كما أن وضع الدبابيس في الورقة صناعة قائمة بذاتها. ولقد رأيت معملاً صغيراً يعمل فيه عشرة رجال، ورأيت البعض منهم يقوم بعمليتين أو ثلاثة. وبالرغم من أنهم غاية في الفقر وغير مزودين بالآلات الضرورية، فقد كان في استطاعتهم إذ ما أجهدوا أنفسهم أن ينتجوا تقريباً إثني عشر رطلاً من الدبابيس في اليوم، والرطل يحتوي على أكثر من أربعة آلاف دبوساً من الحجم المتوسط. ولذلك كان في استطاعة هؤلاء العشرة رجال أن ينتجوا أكثر من ثمانية وأربعين ألف دبوساً في اليوم... فإذا ما اعتبرنا أن كل عامل يصنع عُشر الثمانية والأربعين ألف دبوس، أمكننا القول أن العامل الواحد يصنع أربعة آلاف وثمانمئة دبوساً يومياً، ولكن لو أن كل واحد منهم عمل بمفرده، فالمؤكد أنه لن يكون في إمكانه أن يصنع عشرين دبوساً، ولا حتى

دبوساً واحداً في الغالب...». (ثروة الأمم، الكتاب الأول، الفصل الأول).

ويستكمل سميث؛ مبيناً مدى حيوية التقسيم الاجتماعي للعمل:

«راقب وسائل معيشة العامل العادي... ولسوف تدرك أن عدد الأشخاص الذين استعمل جزء من كدهم مهما كان هذا الجزء صغيراً في تأمين وسائل معيشته يفوق الحصر، فالمعطف الصوفي، على سبيل المثال، الذي يرتديه العامل إنما هو نتيجة العمل المشترك لعدد غفير من الصناع؛ فالراعي، ومنقي الصوف، وماشطه، وصابغه، والغزال والحائك والقصار، ولفيف من الصناع الآخرين يتعين أن يضموا صنائعهم المختلفة جميعها من أجل إنجاز هذا المعطف العادي. ناهيك بالتجار، والحملة، وبناة السفن، والبحارة، وصناع الأشرعة، والحبالين...». (ثروة الأمم، المصدر نفسه).

وإذ يلاحظ سميث ميل الأشخاص الطبيعي نحو المبادلة مقايضةً ومعاوضةً، فإنه يصل بأهمية التقسيم الاجتماعي للعمل إلى المنتهى حينما يؤكد على أهمية تلك الظاهرة، ليس فحسب في زيادة ثروة الأمة، إنما أيضاً في تشكيل المواهب الإنسانية ذاتها، ويضرب على ذلك مثلاً بالفيلسوف والحمال:

«والاختلاف بين الناس في المواهب الطبيعية أقل في الواقع مما ندركه... فالفرق بين... فيلسوف وحمال من بعض حمالي الشارع... يبدو غير ناشيء عن الطبيعة بقدر ما هو ناشيء عن العادة والعرف والتربية. فطوال السنوات... الأولى من حياتيهما ربما كانا متشابهين جداً... وعند تلك السن أو بعدها شغلا في صناعتين مختلفتين. وعندئذ يبدأ الاختلاف في المواهب يتسع تدريجياً ويلفت النظر... ولولا الاستعداد للمقايضة والمعاوضة والمبادلة لتعين على كل واحد منهما أن يؤمن لنفسه جميع ما يحتاج إليه من ضروريات الحياة وكمالياتها؛ ولتعين على الجميع القيام بذات المهام وإنجاز نفس الأعمال، ولكان ما بينهم من الاختلاف في العمل ما يفضي بحد ذاته إلى أي اختلاف كبير في المواهب...». (ثروة الأمم، الكتاب الأول، الفصل الثاني).

وبعدما يقوم سميث بإخضاع ظاهرة تقسيم العمل للتحليل على هذا النحو، ينتهي إلى التأكيد على أن التزايد الكبير لمختلف السلع في المجتمع، وبالتالي تطور قوى الإنتاج، ومن ثم تزايد ثروة الأمة، إنما يرجع إلى التخصص؛ فهو الَّذي يمكن المجتمعات من إنتاج أكبر قدر من السلع في أقل وقت ممكن، وحينما ينتج هذا القدر الكبير من السلع يحدث الفائض، على الأقل بين المنتجين المباشرين، ومن ثم تكون احتمالات المبادلة أكبر وأوسع نطاقاً، وبذلك تنتشر الوفرة بين مختلف طبقات وفئات المجتمع. ولكن، كل ذلك إنما يرتبط، في رأي سميث، بمدى اتساع السوق ذاته؛ فكلما اتسع السوق كلما وجد الشخص الحافز من أجل التخصص في عمل ما يمكنه من مبادلة الفائض من إنتاجه مقابل ما يحتاج إليه من منتجات عمل المنتجين الآخرين:

«هناك أنواع من الأعمال، وحتى الأدنى منها مكانة، لا يمكن القيام بها إلا في مدينة كبيرة. فالحمال، على سبيل المثال، لا يستطيع أن يجد عملاً يكسب منه قوته؛ إذ إن القرية مكان ضيق للغاية عليه، وكذلك في البلدة القائمة على سوق ليست كبيرة إلى قدر يمكنه من العمل بشكل مستمر. في المنازل والقرى الصغيرة جداً، المتناثرة في أرجاء بلد مقفر كأعالي اسكتلندا، يتعين

على كل مزارع أن يكون قصاباً، وخبازاً، وصانع جعة لأسرته الخاصة...». (ثروة الأمم، الكتاب الأول، الفصل الثالث).

(5)

وإذ يتم تحليله للتقسيم الاجتماعي للعمل، الَّذي عدَّه شرطاً لإنتاج ثروة الأمة وازديادها، يجد سميث نفسه أمام ضرورة التعرف إلى كيفية تداول هذه الثروة. بعبارة أدق: التعرف إلى القوانين الموضوعية الَّتي تحكم هذا التداول على الصعيد الاجتماعي، الأمر الَّذي جعله يتجه صوب السوق، حيث تطرح وتتبادل السلع الَّتي تمثل أحد أشكال ثروة الأمة. وحينما توجه إلى السوق، من أجل تحليل طبيعته والكشف عن قواعده، وجد أن عليه الانشغال بالإجابة على مجموعة من الأسئلة المرتبطة مباشرة بانشغاله المركزي بكيفية زيادة الثروة، إذ انشغل سميث بالإجابة على:

- كيف يمكن لمجتمع يسعى جميع أفراده إلى مصلحتهم الفردية أن يستمر ولا ينهار؟

- وما الَّذي يجعل تصرفات أفراد المجتمع، على الرغم من أنانيتها تلك، تأتي متفقة مع المصلحة الجماعية؟

- بل كيف ينجح المجتمع في تأدية المهام اللازمة لبقائه على الرغم من أن الحكومة، كما يفترض سميث، يقتصر دورها على الدفاع، وإقامة العدالة، وحفظ الأمن الداخلي؟

وإذ يقدم سميث الإجابات على ما يثيره من أسئلة، فإنما يتوصل، ربما، إلى أول صياغة دقيقة لقوانين السوق الَّتي ترتكز على فكرة «اليد الخفية» (أُرجح أن تكون الفكرة مستقاة من مذهب الفيزيوقراط)، الَّتي تسير بمقتضاها مصالح الناس الخاصة وأهواؤهم في الاتجاه الأكثر اتفاقاً مع مصلحة المجتمع بأسره.

ولكن، قوانين السوق ليست قائمة بذاتها، إنما تتأسس على ركيزتين أساسيتين: المنافسة بين المنتجين من جهة، والمصلحة الشخصية من جهة أخرى.

فالسلعة الَّتي يزيد المجتمع استهلاكه منها ستقود المنتجين إلى العمل على إنتاج المزيد منها بتوظيف المزيد من قوى الإنتاج (الأرض، والعمل، والرأسمال) في فرع إنتاجها، على حساب سلعة أخرى كف المجتمع، ولو مؤقتاً عن استهلاكها. وبالتالي، مع تدفق رساميل المنتجين، يزيد الفائض من السلعة الَّتي شهد فرع إنتاجها ضخ المزيد من قوى الإنتاج، في مقابل انخفاض الفائض، وربما الحد الأدني، من السلعة الَّتي توقف إنتاجها لعدم رغبة المجتمع فيها، لسبب أو آخر، ومن ثم يقود هجرها من قبل قوى الإنتاج إلى انخفاض المعروض منها عن حاجة المجتمع. وحينئذ، أي حين انخفاض المعروض، تتدخل القوانين العامة للسوق كي تصحح الوضع ولترجعه إلى ما كان عليه من توازن. إذ سيأخذ ثمن السلعة الَّتي انخفض قدر المعروض منها، نظراً لانسحاب قوى الإنتاج من فرع إنتاجها، في الارتفاع؛ الأمر الَّذي يؤدي مباشرة إلى اندفاع المنتجين صوب حقل إنتاج هذه السلعة بغية جني المزيد من الأرباح أثر الارتفاع النسبي في ثمنها. وما بين تلك الحركة من المد والجزر لقوى الإنتاج الموظفة في حقل الإنتاج، يتم توازن الأثمان في السوق. واعتبارات المنافسة لا تنظم فقط حركة إقدام الرساميل وإحجامها، وإنما تضطلع كذلك، في تصور سميث، بمهمة منع تحكم أحد العارضين في الثمن، والمقصود هنا هو ثمن السوق، اللهم إلا إذ ما حدث الاتفاق بين العارضين

لسلعة ما، وهنا أيضاً يتدخل نفس المبدأ، مبدأ المنافسة، إذ سيأتي رأسمالي آخر من خارج سوق تلك السلعة ويدخل سوقها بثمن أقل؛ بما يؤدي، في نهاية المطاف، إلى توازن الثمن في السوق مرة أخرى.

ولا يقتصر دور المنافسة على تنظيم أثمان السلع فحسب، بل هي تقوم كذلك بدور حاسم في تنظيم كميات السلع المطروحة في السوق.

«إن الكمية التي تعرض في السوق من كل سلعة تتلائم على نحو طبيعي مع الطلب الفعال عليها. فمن مصلحة جميع الذين يستخدمون أرضهم، وعملهم أو رأسمالهم ألا تزيد كميتها عن الطلب الفعال، حين الدفع بسلعتهم إلى السوق، ومن مصلحة جميع الناس الآخرين ألا تنقص عن هذا الطلب. فإذا تصادف أن زادت عن الطلب الفعال؛ فيتعين لبعض الأجزاء المكونة لثمنها من أن ينخفض عن ثمنها الطبيعي، إذا كان هذا الجزء ريعاً فإن مصلحة أصحاب الأراضي سوف تدفعهم فوراً إلى سحب جزء من أراضيهم، وإذا كان هذا الجزء من الأجور أو الربح، فإن مصلحة العمال في الحالة الأولى، أو أرباب عملهم في الحالة الأخرى، سوف تدفعهم إلى سحب جزء من عملهم أو من رأسمالهم من هذا الاستثمار. وبذلك تتناقص الكمية الموجهة إلى السوق سريعاً بحيث لا تزيد عما هو كاف لتلبية الطلب الفعال. وترتفع مختلف أجزاء الثمن إلى نسبها الطبيعية والثمن الكلي إلى الثمن الطبيعي، على العكس من ذلك، إذا نقصت الكمية الموجهة إلى السوق عن الطلب الفعال؛ فلا بد لبعض مكونات ثمنها من أن ترتفع فوق النسبة الطبيعية، فإذا كان هذا الجزء هو الريع فإن مصلحة جميع أصحاب الأراضي الآخرين ستدفعهم بصورة طبيعية إلى استخدام المزيد من الأراضي، أما إذا كان هذا الجزء هو الأجور أو الرأسمال، فإن مصلحة جميع العمال والرأسمال ستكون في إنتاج هذه السلعة ونقلها إلى السوق، فلا تلبث الكمية الموجهة إلى السوق أن تصبح كافية لتلبية الطلب الفعال. ثم سرعان ما تنخفض باقي أجزاء الثمن إلى نسبتها الطبيعية، ويتراجع الثمن الكلي إلى الثمن الطبيعي». (ثروة الأمم، الكتاب الأول، الفصل السابع).

ومثلما تنظم قوانين السوق الأثمان والكميات المنتجة من السلع، وتوجه المنتجين إلى حقول الإنتاج المختلفة، فهي تنظم كذلك دخول الَّذين يشاركون في إنتاج تلك السلع؛ فإذا كانت الأرباح (دخل الرأسمالي) في أحد فروع الإنتاج مشجعة، فسوف يتدفق الرأسماليون إلى هذا الفرع من أجل جني المزيد من الأرباح؛ فيزداد بالتبع الإنتاج، ومن ثم يزداد الطلب على العمال، وبالتالي يزداد الفائض، أي الكمية المعروضة، حتى تنخفض الأثمان، نتيجة زيادة الكمية المعروضة عن الكمية المطلوبة، وهكذا...، حتى تتم الدورة في السوق وفقاً لقواعد اليد الخفية الَّتي تنظم المنافسة في هذا السوق.

والأمر نفسه بشأن دخول العمال، إذ يتدفق العمال على القطاع الذي ترتفع فيه الدخول، ويظل تدفقهم مستمراً وتزداد المزاحمة فيما بينهم، فتبدأ دخول العمال، أي أجورهم الَّتي تتحدد عادة بحد الكفاف، في الانخفاض؛ نظراً لزيادة الكمية المعروضة من العمال فيأخذ هؤلاء العمال في الانسحاب من القطاع بحثاً عن أجور أعلى نسبياً في قطاع آخر فيقل المعروض من السلعة الَّتي سبق أن زاد الطلب عليها فيرتفع ثمنها، وهكذا...، حتى يتم التوازن كذلك في السوق.

والمنافسة ليست بين الرأسماليين فقط أو بين العمال فيما بينهم فحسب، إنما في سياق هذه المنافسة، المستمرة والمحتدمة، يلاحظ سميث منافسةً من نوع آخر، هي المنافسة، بل الصراع، بين الرأسماليين والعمال. وما ينشغل به سميث هو الكشف عن أسباب إخفاق العمال في تمرداتهم قِبل الرأسماليين وفشل إضراباتهم عن العمل حينما يطالبون برفع أجورهم أو تحسين ظروف عملهم.

«سواء أكانت تحالفاتهم (يقصد العمال) هجومية أو دفاعية، فهي غالباً تنتشر على الملأ. وهم يلجأون دائماً إلى أضخم أشكال الصخب والصياح، ويعتمدون أعنف أشكال التعبير والسخط والغضب؛ بغية التوصل إلى قرار سريع. إنهم يائسون ويتصرفون برعونة اليائسين وجنونهم، إذ لا خيار أمامهم إلا الموت جوعاً أو إخافة أرباب عملهم بحيث يستجيبون لمطالبهم... ونادراً ما يحصل العمال على مكسب من عنف تلك التحالفات الصاخبة التي لا تكاد غالباً تصل إلى أي شيء، إلا معاقبة قادة التحرك أو خراب بيوتهم، وذلك جراء تدخل السلطات من جهة، وجراء قدرة أرباب العمل على مزيد من الصمود من جهة ثانية، وجراء الضرورة التي ينصاع لها القسم الأكبر من العمال لتحصيل أقواتهم اليومية من جهة ثالثة». (ثروة الأمم، الكتاب الأول، الفصل الثامن).

وليست المنافسة فقط هي الَّتي تعتمد عليها قوانين السوق، إنما ثمة ركيزة أساسية أخرى تساندها، تلك الركيزة هي المصلحة الشخصية. والمبدأ، لدى سميث، هو أن الفرد، ابتداءً من استعداده الفطري للمقايضة والتبادل، حينما يحرص على تحقيق نفعه الشخصي، يحقق، بالتبع، المصلحة الاجتماعية :

«إن الإنسان يحتاج دائماً إلى مساعدة غيره من بني جنسه، ولا يمكن توقع صدور هذه المساعدة عن طيب خاطر فحسب، إذ يتعين دوماً إقناعهم بأن من مصلحتهم مساعدتنا، فنحن لا نتوقع الحصول على الغذاء من الجزار والخباز بفضل حسن أخلاقهم، ولكننا نتوقع ذلك منهم كنتيجة لأنانيتهم... إننا لا نخاطب النزعة الإنسانية في أنفسهم بل نخاطب حبهم لذاتهم، ولا نتحدث إليهم عن ضروراتنا بل عن منافعهم... إن الاستعداد للمقايضة هو الذي يخلق الداعي إلى تقسيم العمل». (ثروة الأمم، الكتاب الأول، الفصل الثاني).

(6)

ولكن، تلك القوانين الَّتي كشف عنها سميث، وأحكم صوغها، لم تكن مساهمته الأكثر أهمية؛ إذ أن مساهمته الفعلية، تاريخياً، إنما تتركز في نظره إلى السلعة في المرحلة السابقة على طرحها في السوق للتبادل، أي تحليل حقل الإنتاج. إنتاج الثروة. فحينما أراد سميث التعرف إلى كيفية تكون الأثمان، كان عليه أولاً أن يحدد موقفه من مشكلة القيمة. ومن أجل تحديد هذا الموقف كان عليه أن ينتقل من دائرة التداول إلى دائرة الإنتاج حيث تنتج القيمة، وحينئذ يرى أن القيمة:

«كلمة تشير أحياناً إلى منفعة شيء معين، وأحياناً تدل على القدرة على شراء سلع أخرى... والأولى تسمى القيمة الاستعمالية، والثانية القيمة التبادلية. (ثروة الأمم، الكتاب الأول، الفصل الرابع)

وإذ يعيّن سميث المصطلحات الَّتي يستخدمها، على هذا النحو، ويحدد انشغاله بالبحث عن منظم القيمة ومقياسها وتقديرها، فهو حينما يبحث عن منظم القيمة، يعي أن كمية العمل الضروري اللازم لإنتاج السلعة هو أساس التبادل. هو منظم القيمة. ويضرب مثلاً على ذلك، في بداية الفصل السادس الَّذي خصصه لبحث الأقسام المكونة لثمن السلع، الصيد، فإذ ما كان صيد حيوان ما يستغرق ساعتين من العمل، وآخر يتكلف ساعة واحدة من العمل؛ فإنه يتعين مبادلة زوج من الحيوان الَّذي تكلف صيده ساعة عمل واحدة بحيوان واحد من الَّذي تكلف صيده ساعتين من العمل:

«إذا كان صيد القندس يتطلب عادة ضعف العمل اللازم لصيد الغزالة، فيجب أن يبادل القندس بزوج من الغزالة. ومن الطبيعي أن ما ينتج عادة في يومي عمل أو ساعتين عمل يستحق ضعف ما ينتج عادة في يوم عمل أو ساعة عمل». (ثروة الأمم، الكتاب الأول، الفصل السادس).

ولكن سميث هنا، كما في كل مكان في ثروة الأمم، يعقد التفرقة بين المجتمعات القديمة (الحالة المبكرة للمجتمعات قبل تراكم مخزون السلع وامتلاك الأرض) والمجتمعات المعاصرة (حيث امتلاك الأرض وتراكم مخزون السلع في أيدي أناس معينين) وهو ما سوف يقوده إلى تطوير فكرته في منظم القيمة. ففي أقدم العصور كان نتاج العمل دائماً مِلك مَن ينتجه. وكمية العمل المبذول في إنتاج السلعة هي الَّتي تنظم مبادلتها، فالقوس الَّذي بُذل في إنتاجه ساعة عمل يمكن مبادلته بمطرقة تكلف إنتاجها ساعة عمل. فحينئذ يكون العمل، والعمل وحده، هو أساس التبادل. في هذه المرحلة التاريخية يستبعد سميث أن يشارك آخر المنتج المباشر فيما أنتجه. هنا كمية العمل بمفردها هي الَّتي تنظم القيمة. ولكن، مع تطور البشرية لا يكون كامل نتاج العمل دائماً ملكاً للعامل؛ إذ عليه في الغالب أن يتقاسم نتاج عمله مع مالك الرأسمال الَّذي يستأجره. فما أن يستأثر البعض بملكية وسائل الإنتاج، يملكون إذاً الرأسمال، إلا ويبدأون :

«وما أن يتراكم مخزون السلع في أيدي أشخاص معينين، حتى يبدأ بعضهم بشكل طبيعي في استعماله لتشغيل أناس مهرة جادين، يمدونهم بمواد العمل وأسباب المعيشة ليجنوا مكسباً ببيع أعمالهم، أو بما يزيد من قيمة إلى قيمة المواد بفضل شغلهم...». (ثروة الأمم، الكتاب الأول، الفصل السادس). (كذا: المصدر نفسه، الفصل الثامن).

وبتلك المثابة تبلورت الأجور وكذا الأرباح. ومن ثم صار للرأسمال الحق في المطالبة بدور في تنظيم القيمة إلى جانب كمية العمل:

«وليست كمية العمل المبذول... هي الظرف الوحيد الذي يمكن أن ينظم الكمية التي ينبغي لهذه السلعة أن تبادل بها فمن الجلي أنه يتعين احتساب كمية إضافية لأرباح الرأسمال الذي قدم الأجور ووفر المواد لهذا العمل». (ثروة الأمم، المصدر نفسه).

وفي مرحلة تالية؛ تَبدّا الريع؛ ومن ثم صار بدوره أحد أجزاء منظم القيمة، فحينما تمسي أرض بلد ما محلاً للملكية الخاصة يحب هؤلاء الملاك أن :

«يحصدوا ما لم يزرعوا، وأن يطلبوا ريعاً حتى من نتاجها الطبيعي، فحطب الغابات وأعشاب الحقول، وجميع ثمار الأرض الطبيعية التي لم تكن، يوم كانت الأرض مشتركة، تكلف العامل إلا جهد قطافها، صارت كلها تصل إليه بثمن إضافي يفرض عليها. فعليه حينئذ أن يدفع ثمن الترخيص بجمعها، وعليه أن يتنازل لمالك الأرض عن قسم مما جمعه أو أنتجه بعمله». (ثروة الأمم، المصدر نفسه).

ولسوف يحدد سميث قيمة السلعة التبادلية، أو ثمنها الطبيعي كما سيقول فيما بعد، بهذه الدخول الثلاثة، أي الأجر والربح والريع، بما يعني أن ثمن السلعة الطبيعي هو الَّذي ينظم قيمتها. وسنعود لتلك الفكرة بعد قليل.

(7)

وبعدما ينتهي سميث من تحليل منظم القيمة وتطوره، ينتقل إلى مقياس القيمة. وحينئذ يرى أن العمل هو:
«المقياس الحقيقي للقيمة التبادلية للسلع كافة». (ثروة الأمم، الكتاب الأول، الفصل الخامس).

ولكن، تواجه سميث مشكلة، سوف يحاول ريكاردو حلها فيما بعد، تلك المشكلة هي أن العمل وإن كان باستطاعته قياس قيمة المبادلة، فيمكننا أن نقول أن قيمة السلعة تساوي 4 ساعات عمل، فليس بإمكانه، في تصور سميث، أن يقدر هذه القيمة؛ إذ يصعب اعتبار هذه الـ 4 ساعات قيمة حقيقية للسلعة. أو تمثل قدرتها الفعلية على شراء سلع أخرى؛ وذلك لصعوبة المقارنة (المقصود المقارنة الدقيقة بمقياس دقيق) بين المجهود المبذول في سبيل إنتاج السلعة من جهتين: الأولى: شدة العمل، الثانية: البراعة في العمل. وعليه، سيكون من الصعب، وفقاً لتصور سميث، مقارنة ساعة عمل حداد أو عامل منجم مع ساعة عمل بستاني، أو حلّاق. أو مقارنة ساعة عمل فلاح، أو إسكافي، مع ساعة عمل صائغ، وبالتالي لن يمكن، في تصوره، أن تقدر قيمة السلعة التبادلية بالعمل. هي فقط تقاس بالعمل. وأمام هذه المشكلة يضطر سميث إلى البحث عن شيء آخر تقدر به تلك القيمة، وحينئذ يرى أن القيمة:
«تقدر بكمية من سلعة أخرى». (ثروة الأمم، المصدر نفسه).
ولكن سميث يبدو وكأنه غير مقتنع كلياً بما انتهى إليه ويسعى إلى إكساب النتيجة الَّتي وصل إليها نوعاً من بعض اليقين المستمد من السوق، فمع الاختلاف بين الأعمال من جهتي الشدة والبراعة، وعدم وجود مقياس دقيق يُحتكم إليه بشأنهما، يعترف بأن تقدير قيمة السلعة من خلال كمية العمل المبذول في السلعة الأخرى:
«ليس من طبائع الأشياء ولا يتميز بأي وضوح». (ثروة الأمم، المصدر نفسه).
ومن هنا يتلمس سميث بعض اليقين من السوق. ويحيلنا إليه؛ فقوانين السوق سوف تتكفل بإجراء المساواة ولو التقريبية بين الأعمال الَّتي تختلف شدتها أو براعتها. فاعتبارات الشدة والمشقة عادة ما تؤخذ في الاعتبار عند المبادلة في السوق؛ فوفقاً لمثل القندس والغزالة يقرر سميث أن المجتمع سوف يأخذ في اعتباره أن كمية العمل المبذول في صيد كل من الحيوانين هي الَّتي تحدد نسبة المبادلة بينهما، بحيث أن ما يُنتج في يومي عمل أو ساعتين عمل (زمن الإنتاج وزمن العمل عند ماركس فيما بعد) يستحق ضعف ما ينتج في يوم عمل أو ساعة عمل.
ومن جهة البراعة، فإن سميث يرى أن التقدير الَّذي يكنه المجتمع للبراعة والمهارة في العمل سوف يكسب نتاج العمل (في المجتمعات القديمة، والمعاصرة بالتبع على السواء) قيمة تفوق ما يستحقه الوقت المستغرق في هذا الإنتاج. أي أن ساعة واحدة من العمل البارع سوف تفوق، في نظر المجتمع، ساعة واحدة من العمل العادي.
وعلى الرغم من إقرار سميث بأن الاختلاف، على هذا النحو، بين الأعمال من جهتي الشدة والبراعة، إنما يستصحب بطبيعته صعوبات في المبادلة، ومع إقراره أيضاً بأن التبادل على هذا النحو لا يتوازن وفقاً لأي مقياس دقيق، بل تقوم المساومة المستمرة في السوق بتأدية الدور الحاسم في هذا الأمر، فهو يرى أن تلك المساومة كافية لاستمرار الحياة اليومية في المجتمع، مع استبعاده أن يكون ذلك، وفقاً لمذهب الفيزيوقراط في الغالب، أمراً طبيعياً، وإن أمكن جعله مقبولاً!
إن المشكلة الحقيقية الَّتي يستشعرها ذهن سميث، ليست، كما ظن البعض، هي الكيفية الَّتي يمكن بمقتضاها المقارنة بين العمل اليسير والعمل الشاق، أو بين العمل العادي والعمل البارع؛ لأن المجتمع، قديماً وحديثاً دونما فرق لدي سميث، سوف يتعارف فيما بين أفراده على قواعد رضائية تتيح إجراء المبادلة بين الأنواع المختلفة من العمل. نعم ليس ذلك من قبيل الأمور الطبيعية، ولكن سوف تجعله ظروف الحياة اليومية مقبولاً بحال أو بآخر. ولكن هذه المقولات، غير العلمية، لا ترضي ذهن سميث. ومن هنا تبلورت المشكلة الحقيقية في أن ذهن مفكرنا الموسوعي، وهذا دأبه، يبحث باستمرار عن القانون الموضوعي الَّذي يحكم الظاهرة. وبالتالي ينشغل سميث ها هنا بالبحث عن القانون الموضوعي الحاكم لهذا التبادل بين الأنواع المختلفة من العمل. يبحث عن القانون الَّذي تكوّن خارج إرادة أفراد المجتمع. هو يبحث عن قانون طبيعي. القانون المنبثق مباشرة عن اليد الخفية. ولذلك نراه، بعد أن أعْيَاه الأمر، يكتفي على ما يبدو بعبارات، وكما ذكرنا، تنم عن عدم يقين وخيبة أمل:
«والحق أنه في مبادلة مختلف منتجات العمل يؤخذ أمر المشقة والبراعة في الاعتبار. غير أن التبادل لا يتوازن وفقاً لأي مقياس دقيق، بل بالمساومة في السوق... التي وإن كانت غير دقيقة فهي كافية في تسيير أمور الحياة المعتادة... وهو إن كان يمكن جعله معقولاً بقدر كاف، فهو ليس من طبائع الأشياء ولا يتميز بأي وضوح». (ثروة الأمم، المصدر نفسه).
ويستكمل سميث تحليله لما تقدر به القيمة؛ وينتقل من كمية من السلعة الأخرى إلى كمية من النقود. ولأن السلع، بعد انهيار نظم المقايضة، لم تعد تبادل بالسلع، إنما صارت تبادل بالنقود، فسوف تقدر القيمة بكمية النقد، ويجد النقد هنا مادته في الذهب والفضة:
«فالقصاب لا يحمل معه لحم البقر إلى الخباز، بل هو يحمل اللحم إلى السوق حيث يبادلها بالنقود، ثم يستبدل بهذه النقود الخبز... ومن الطبيعي والأوضح في تصوره أن تقدر قيمة اللحم بكمية النقد...». (ثروة الأمم، المصدر نفسه).
ولكن، الذهب والفضة، كجميع السلع الأخرى، تتغير قيمتهما ارتفاعاً وانخفاضاً؛ وبالتالي لا يمكن لمقياس هو نفسه محل تغيُّر أن يصلح مقياساً (يعود سميث هنا مرة أخرى، وفجأة، للمقياس) لقيمة السلع الأخرى، وهو ما جعل سميث يستكمل فكرته كي يرجع مرة أخرى إلى العمل، لأنه وحده الَّذي لا يتغير في قيمته الذاتية. ومن ثم ينتهي سميث إلى أن العمل هو المقياس الحقيقي والنهائي الَّذي يمكن لقيمة السلع كافة أن تقارن به (مقياساً، وتقديراً) في كل الأزمنة والأمكنة.
وأساتذة النظرية الجامعية، الَّذين تؤرقهم نظرية العمل في القيمة، يقولون للطلبة، وبمنتهى الثقة، أن سميث كان يرى أن قيمة السلعة كانت تتحدد بالعمل، أي أنه كان

يؤمن بنظرية العمل في القيمة، ثم قام بتغيير رأيه وتبنى نظرية في نفقة الإنتاج! وبالتالي أصبح، في رأيهم، كلٌ من منظم القيمة ومقياسها متعلقين بنفقة الإنتاج. وذلك غير صحيح؛ لأن القيمة «الَّتي يضيفها العمال» إلى المواد، كما يقول سميث، سوف تنحل إلى أجور العمال وأرباح الرأسماليين. والأخيرة، أي الأرباح، تحمل في أحشائها الريع(وربما الفائدة، بل والأجر نفسه) الَّذي سيدفعه الرأسمالي إلى مالك الأرض. وستكون تلك الدخول هي مكونات القيمة التبادلية، أو ثمن السلعة الطبيعي.

فالتحليل يسير على النحو التالي: يشتري الرأسمالي مواد العمل بـ 3 وحدات، وأدوات العمل بـ 3 وحدات، والعمل بـ 3 وحدات ثم يقوم العمال بالإنتاج، وهم حينئذ «يضيفون قيمة» إلى مواد العمل، ولتكن 6 وحدات. يتحدد إذاً ثمن السلعة الطبيعي بهذه الـ 6 وحدات. أي بالقيمة الَّتي أضافها العمال، وليس بنفقات الرأسمالي. ولكن، بعد أن أصبح لدينا الآن أجر وربح وريع، كيف سنقيس القيمة الآن؟ يجيب سميث، وبما نفهم منه عدم عدوله إلى نظرية في نفقة الإنتاج: ستقاس أيضاً بالعمل، لأن:

« القيمة الحقيقية لجميع الأقسام المختلفة المكونة للثمن (يقصد الثمن الطبيعي)، إنما تقاس بكمية العمل الذي يتمكن كل منها أن يبتاعها أو يستحقها، فالعمل لا يقتصر على قياس قيمة ذلك القسم من الثمن الذي يرجع إلى العمل، بل ذلك الذي يرجع إلى الريع وذلك الذي يرجع إلى الربح». (ثروة الأمم، الكتاب الأول، الفصل السادس).

(8)

يمكننا الآن فهم التوزيع عند سميث، فهذه القيمة أي الـ 6 وحدات المذكورة أعلاه (الَّتي يضيفها العمال إلى المواد) سوف تنحل إلى: أجر يدفع للعامل، وربح يستحوذ عليه الرأسمالي، وريع يسدد للمالك العقاري. إذ بفضل القيمة الزائدة الَّتي خلقها العمل تمكّن الرأسمالي من دفع الأجور والريع، وجني الربح.

وعليه، فإن الثمن الطبيعي، والَّذي تتأرجح حوله أثمان السوق في المدى الطويل، والَّذي يقول عنه الأساتذة أنه نفقة الإنتاج، على الرغم من أن هذا المصطلح ليس له وجود في ثروة الأمم! يتكون من الأجر والربح والريع. وهذه الدخول مصدرها القيمة الَّتي«يضيفها العمال»إلى المواد، أي مصدرها العمل، وليس نفقات الرأسمالي. «إن ثمن أية سلعة (يقصد ثمنها الطبيعي، أو مدى قوتها على شراء سلع أخرى، أي قيمتها التبادلية) في كل مجتمع يرجع في النهاية إلى هذا الجزء أو ذاك من هذه الأجزاء: الأجور والربح والريع العقاري أو ينحل إلى هذه الأجزاء الثلاثة جميعاً... إن الأجور والربح والريع العقاري هي المنابع الأصلية لكل إيراد ولكل قيمة مبادلة... « . (ثروة الأمم، المصدر نفسه).

(9)

وبشأن اصطلاح الثمن، فإن آدم سميث يستخدم أربعة مصطلحات مختلفة، سواء كان ثمن السلعة، أو ثمن العمل الَّذي يقدمه الشغيلة. تلك المصطلحات هي: الثمن الحقيقي، والثمن الاسمي، والثمن الطبيعي، وثمن السوق. أما الثمن الحقيقي، وهو يقترب في ذهن سميث من الثمن الطبيعي، فهو مقدار العناء والتعب والجهد الَّذي يبذله الإنسان في سبيله للحصول على سلعة ما.

والثمن الحقيقي على هذا النحو يتقوم بكمية ضروريات الحياة وكمالياتها الَّتي تبذل بدلاً عنها، على حين أن الثمن الاسمي يتقوم بكمية النقود.

أما الثمن الطبيعي، فهو الثمن المطابق لريع الأرض وأرباح الرأسمال وأجور العمال. فعندما يكون ثمن أية سلعة ليس أكثر أو أقل مما هو كاف لدفع ريع الأرض، وأجور العمل، وأرباح الرأسمال المستثمر في إنشائها، وإعدادها، ونقلها إلى السوق، وفقاً للنسب الطبيعية لهذه الثلاثة، فالثمن الذي تباع به السلعة يسمى ثمنها الطبيعي.

أما ثمن السوق، فهو الثمن الفعلي الَّذي تباع به أية سلعة عادةً، وقد يكون أعلى من ثمنها الطبيعي، أو أدنى منه، أو مساوياً له. ثمن السوق إذاً يتقلب ارتفاعاً وانخفاضاً حول الثمن الطبيعي للسلعة. وقوانين السوق هي الَّتي تنهض بمهام المطابقة بين الثمنيّن.

(10)

وإذ يبني سميث مذهبه، ابتداءً من تحليله لعملية الإنتاج، فهو يرى أن الإنتاج يتطلب توافر حد أدنى من الرأسمال الَّذي يلج حقل الإنتاج في أشكال مختلفة، منها ما هو في صورة مبان وآلات ومعدات، ومنها ما هو في صورة مواد أولية أو مواد مساعدة، ومنها ما هو في صورة أجور تدفع للعمال الَّذين يقومون بتفعيل المواد من خلال الآلات وتحويلها إلى سلع.

والواقع أن سميث يقسم الرأسمال في المجتمع إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: القسم المخصص للاستهلاك المباشر مثل المواد الغذائية والأثاث المنزلي والملابس... إلخ، أما القسم الثاني: فهو الرأسمال الأساسي، وهو الَّذي لا يتغير مالكه لا أثناء ولا عقب عملية الإنتاج. وهو يتألف بشكل رئيسي من أربعة أمور: (أ) الآلات الَّتي يستهلكها العمل. (ب) المباني مثل المحلات التجارية والمستودعات ومخازن الغلال. (ج) المواد التي تستخدم في تحسين الأرض وتجويد التربة. (د) المهارات المكتسبة بالتعلم. أما القسم الثالث: فهو الرأسمال الدائر. وهو الَّذي لا يدر إيراداً إلا عن طريق التداول أو تغيير مالكه عقب عملية الإنتاج، وهو يتألف من أربعة أجزاء: (أ) النقود، (ب) خزين المؤن الماثلة في حوزة القصاب والمزارع ....، (ج) مواد العمل سواء كانت في حالة خام أو مصنعة بهذا القدر أو ذاك من الملابس والأثاث والمباني الَّتي لم تكتمل هيئتها في هذه الأشكال الثلاثة بعد، (د) المصنوعات الناجزة الكاملة ولكنها لا تزال في حوزة الرأسمالي أو التاجر.

وإذ ما استبعدنا رصيد الاستهلاك المباشر، فوجه الاختلاف بين الرأسمال الأساسي والرأسمال الدائر، كما يرى سميث، يتجلى في شرط بقاء الملكية، فسميث يجعل معيار التفرقة بين قسمي الرأسمال هو مدى احتمالية تغير مالك ذلك الجزء من الرأسمال الَّذي تجسد في السلعة عقب إنتاجها وطرحها في التداول. بمعنى أن كل سلعة من السلع المنتجة طبقاً لنمط الإنتاج الرأسمالي والمعدّة للبيع في السوق، إنما تحتوي على أدوات عمل، ومواد عمل، وقوة عمل، والَّذي يمضي في التداول هو مواد العمل وقوة العمل، وتظل المباني والآلات على ملك صاحبها، هي فقط تتجسد في الناتج بمقدار الاستهلاك، وبنسبة محددة. في حين أن المواد، وكذا قوة العمل يتم استهلاكهما كلياً أثناء عملية الإنتاج. وعليه، تبقى المباني والآلات والمعدات كي تمثل الرأسمال الأساسي. في حين تعد مواد العمل، وقوة العمل، رأسمالاً دائراً.

دَبَّابة تحت شجرة عيد الميلاد

رواية جديدة للشاعر والروائي إبراهيم نصر الله، التي بدأ التحضير لها منذ عام 1990، لتأمُّل حال فلسطين على مدى 75 عاماً، بدءاً من الحرب العالمية الأولى، حتى نهاية الانتفاضة الفلسطينية الأولى، متتبعة ما عاشته فلسطين من تحولات.

الشوارع الضالة

المجموعة القصصية الأولى للكاتب اليمني وليد الزيادي، تتحدث عن معاناة الإنسان في زمن التكنولوجيا التي تجعله غريباً حتى عن ذاته، وأصبحت معظم العلاقات الإنسانية سطحية ومجردة من المشاعر الحقيقية الصادقة والنابعة من القلب.

حارة اليهود

صدر حديثاً عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية ومؤسسة التعاون كتاب «حارة اليهود وحارة المغاربة في القدس القديمة: التاريخ والمصير ما بين التدمير والتهويد»، من تأليف نظمي الجعبة، في 460 صفحة.

أحوال أهل الغيبة

كتاب للباحث اللبناني، وضاح شرارة، في هذه السيرة لا يكتب شرارة عن من غابوا، لا متوجعاً ولا نادباً أو راثياً. فهذه الكتابة تشبه شبهاً قوياً المحادثة أو المحاورة، ومحادثة أهل الغيبة لا تحتاج إلى «كتب.

زوجة تنين أخضر

في مجموعتها القصصية، تختار روعة سنبل عنواناً رئيساً ينطوي على المجازفة التي تحتملها العلاقة بين الكائن والتنين، وهو كائن خرافي أسطوري ينفث النار من فمه، ورد ذكره في الكثير من القصص في ثقافات الشعوب، حيث يتنوع التنين في الثقافة الشرقية بين الخير والحقد.

قسمت

رواية جديدة للروائية حوراء النداوي، هي رواية التفاصيل. رواية انثربولوجية، لكنها من جانب آخر رواية عجائبية، حيث تعيش الأشباح مع البشر في بيوتهم وغرفهم، عبر حوادث وأعاجيب.

آلام ذئب الجنوب

تتسم هذه النصوص وفقاً لما ذكره الكاتب محمد المطرود بأنها «تحملُ نفَساً واحداً، أو تلكَ التي تنتظم وفق خيط دلالي واحد. كما أنها تنتمي شغلاً ومكاناً إلى تلك الدفقة الشعورية الأولى.. التي أمسكتُ لغتي وقدرتي على قول يخصّ هذا المكان الذي لم يحظَ بكتابة كافية، وهو الغني بالشفاهي والمدهش.

ملك الهند

صدرت حديثا عن دار السّاقي رواية «ملك الهند» للروائي جبور الدويهي. تتألف الرواية من 192 صفحة، وتحكي بأسلوب مشوّق قصّة مقتل زكريا عند تقاطع خطر اختلطت فيه خرافات الذهب وحروب الأشقاء مع حبّ النساء الفرنسيات ووعد الثروة الزائف وعداوات طائفية تظهر وتختفي منذ قرن ونصف القرن.

المدينة العربية والحداثة

يقدم لنا خالد زيادة في كتابه «المدينة العربية والحداثة» بحثاً مستفيضاً حول المدينة العربية والمسلمة، مصطلحاً وتعريفاً ونشأة وميزات. وهو بذلك يؤصل الأسس المبنية عليها المدينة العربية والمسلمة ليعطيها النمط المختص بها، وما يميزها عن المدينة الغربية التي كانت المعيار الذي اتخذه المؤرخون الغربيون في نظرتهم إلى المدينة العربية والمسلمة.

ابن عربي في كتاب جديد

أصدر الأديب يحيى القيسي كتابه البحثي الأول بعنوان «ابن عربي في الفتح المكّي: الانتقاص من القدر المحمّدي» ينشغل هذا الكتاب، كما جاء على غلافه الخلفي، بمراجعة جريئة لنتاج الصوفي الشهير الشيخ محيي الدين ابن عربي في سفره الضخم «الفتوحات المكيّة» إضافة إلى كتبه الأخرى مثل: التجليّات، فصوص الحكم، الرسائل.. وغيرها.

سيرة صباح فخري

صدر عن دار هاشيت أنطوان / نوفل في بيروت، كتاب «صباح فخري سيرة وتراث» للكاتبة السورية شذا نصّار. وهو الكتاب الأول الذي يوثّق سيرة صاحب الحنجرة الذهبية صباح الدين أبوقوس، وهو اسم الفنان الحقيقي الذي يُعدّ أحد أعلام الموسيقى الشرقية.

حاصر حصارك

صدر حديثاً عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر كتاب «حاصر حصارك: حوارات وشهادات» محمود درويش، وهو من إعداد وتقديم محمد شاهين. في هذه الحوارات يعثر القارئ على إحداثيات الظاهرة الدرويشية والرؤية الدرويشية في الشعر والسياسة والحياة.

فوتوغراف

برج الساعة طرابلس

قبل أن نفترق

هموم الكتابة

تسائلني نفسي – وكثيراً ما تسائلني – ما جدوى الكتابة ؟ .. وأي شيء ستجني من هذا اللهاث الأبدي المحموم وراء الكلمات وبين الكلمات وأحياناً أمام الكلمات ؟..
وما الطائل من ركضك الدائم فوق هذا المضمار الشائك؟
فها أنت الآن وحيداً في هزيع هذه الليلة الأخير ، تمارس تسلطك الرهيب على قلمك المسكين الذي أوشك مداده على التمدد من حرارة سبابتك وإبهامك اللذان يعتصرانه بقسوة ليفرز ما في جوفه حتى آخر قطرة .. وتصعد روحه بين السطور وسط غبطتك الطفولية وشعورك الساذج بالرضا عن قريحتك البدوية التي مازالت لم تعرف طعم الخيانة .
ألم يكن أجدى لك أن تريح هذا الجسد المنهك من جراء ركضك المستمر إثر رزقك اليومي ؟.. أو ترحم هذا القلم البائس وتصطحبه في رحلة حسابية عبر سهرة للعب «الكارطة» أو في نزهه خاصة بين مربعات الكلمات المتقاطعة؟
لكن ما الفائدة ؟ .. فإنها أيضا كتابة، وعلى ما يبدو أنك وبمحض إرادتك أيضا قد حصرت نفسك ضمن دائرة تضيق وتتسع .. لكنها في النهاية دائرة مغلقة .. وبمحض إرادتك أيضاً، ودون أدنى تردد، صنعت لها سقفاً محدوداً يكاد ينهار فوق رأسك .. وأنت قابع في مركز الدائرة ..تتلذذ بالمشاهدة ..وتتوق لمعانقة التجربة بتحفز خرافي وكأن الأمر لا يعنيك على الإطلاق .
كثيراً ما تحمد الله على ما أسبغه عليك من النعم،،، وكثيراً جداً ما تتلذذ بنظرات الناس المتباينة وترجع إلى نفسك محاولاً استكناه تلك النظرات وما وراءها من مشاعر .
فهذا يجلك .. وهذا يحترم أفكارك رغم اختلافه معها .. وذلك يشفق عليك ويدعو لك .. وآخر يتوجس منك رهبةً ويخشى عباراتك أن تصيبه ذات مقال .. وآخر يرى فيك أكثر مما أنت عليه ويطلب منك أكثر من المستحيل .. وآخرون لا يعنيهم أمرك وأمر هذا العبث الذي ترهق نفسك بتسطيره آناء الليل وأطراف النهار .. وآخرون .. وآخرون وأنت سادر في عنادك تفلسف الأمور حسب هواك . وأنت تدري ما جناه الآخرون من الكتابة .. همّ بالليل وقلق بالنهار،، وفرص ضائعة .. واعتلال بدني وتوتر سرمدي .. وتغريد خارج السرب .. وشعور وهمي بالتمايز يسوق الخطي نحو تخوم العزلة .
فها أنت على سبيل المثال : تخفق في فتح أبواب قلبك أمام وشوشات زهرة برية اغتسلت ذات فجر رائع بماء نجعك، وضمخت مفرقها بعطر جدتك الرءوم .. ونبذت عن كلكلها أدران المدينة .. وأصاخت السمع لكلماتك التي ابتلعت نصفها كطفل يبحث عن ثدي أمه وسط مقبرة عتيقة .. وتضيع في دوامة أحلامك المجهضة وأمنياتك المستحيلة .وها أنت ذا الآن – الآن بالذات – تغلف الكلمات بالكلمات وتلوذ بمفرداتك المحايدة درءاً للتقول واتقاءً للشبهات رغم حزنك .
ها أنت ذا تتوارى خلف ستائر «الحكي»، تشاكس العبارات التي تتمنع، ثم تلين ويسلس لك قيادها لتعود من جديد لعصيانها وتمردها ..ثم وقبل أن ينفد صبرك، تسحرك بغوايتها وتغريك بتكرار اللعبة نفسها، وبنفس الخطوات لهذا الهم الذي تسميه جميلاً .
أمام كل هذا تحاول أن تنفض يدك من الأمر كله .. وتطوح بها – يدك – في الهواء لتمزق خيوط اللعبة فترتد خاوية من غير سوء،، وتحاول أن تقصف قلمك عند كل منعطف عملاً بمبدأ « أنا أولى من الغريب « ويمتلكك شعور آني بالإحباط فيدعوك صديقك الذي مهد لك قديماً التورط في هذا الهم إلى التريث وضبط النفس، وهو يثني على تجربتك،، ويمتدح إسهاماتك فتسكن سورتك وتغشاك طمأنينة وقتية، لكنك في النهاية لا تفتأ تداهمك أعراض البحث من جديد عن إجابات مقنعة لتساؤلات نفسك التي كثيراً ما تساءلك،،، فتتشابك أمامك الرؤى .. وتتشعب الدروب وأنت تتشد سواء السبيل .

التوقيع : **عوض الشاعري**

مجلة الليبي

The Libyan

شهرية متنوعة تصدر عن مؤسسة الخدمات
الإعلامية بمجلس النواب الليبي

رمضان كريم

libyanmagazine@gmail.com aglemohada@gmail.com